الصداقة
في الإطار الشرعي

... نظرات إسلامية
في هذه العلاقة الإنسانية

تأليف

الدكتور عبد الرحمن بن زيد الزنيدي

دار الوراق
للنشر والتوزيع

دار النيرين
للطباعة والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م

دار الوراق

للنشر والتوزيع

بيروت - هاتف وفاكس ٠١/٦٦٤٤٩٩ - ص ب: ١٤/٦٣٨٠
E.Mail:msibaie @hotmail.com
E.Mail:warrak @maktoob.com

المملكة العربية السعودية - الرياض - الرمز ١١٣٩١ ص ب ٦٤١

هاتف : ٤١٦٢٥٢٧ - فاكس ٢١٧٠٦٤٢

دار النيربين

للطباعة والنشر والتوزيع

ص ب : ٧٦٠٣ - دمشق - شارع الفردوس

هاتف : ٢٢٣٠٩١٤ - فاكس : ٢٢٣٩٩٩٦

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قال جلَّ وعلا في الحديث القدسي:

«حقَّت محبتي للذين يتصادقون من أجلي»

رواه الإمام أحمد قال الهيثمي: رجاله ثقات

وقال الشاعر:

همـوم رجـال فـي أمـور كـثـيـرةٍ

وهـمّـي مـن الـدنـيـا صـديـق مـسـاعـدُ

نكـون كـروحٍ بيـن جـسـمـيـن قـسـمـت

فـجـسـمـاهـمـا جـسـمـان والـروح واحـدُ

أدب الدنيا والدين لأبي الحسن الماوردي

❀ ❀ ❀

تقديم

الحمد لله ربّ العالمين

خلق الناس من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوباً وقبائل ليتعارفوا، ووضع لهم ميزاناً للتفاضل، يجمع بين القلوب، ويؤلف بين النفوس.

وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فإنَّ الحياة البشرية التي جاءت الأديان السماوية لهدايتها، وقامت النظم لضبطها، تمثل علاقات بين الإنسان والموجودات، وهي علاقات متنوعة بحسب الموجود الذي قامت الصلة بينه وبين الإنسان، فمثلاً:

- صلة الإنسان بربّه صلة عبودية له سبحانه؛ حبّاً وذلاً وخشيةً وطمعاً... إلخ.

- وصلته بالرسل الكرام صلة إيمان برسالاتهم، واهتداء بهديهم، وحبّ لأشخاصهم، دون تأليه أو كفران.

- وصلته بالكون المحيط به، صلة تسخير وانتفاع منه، وتأمل في صنعه، واعتبار بإبداعه.

- وصلته بالإنسان تتنوع أنواعاً؛ فقد يكون هذا الإنسان كافراً، أو مسلماً، وقد يكون أباً، أو ذا رحم، أو جاراً، أو ولداً... إلخ. ولصلته بكل من أولئك سمة متميزة.

والصداقة بين اثنين أو أثر علاقة من تلك العلاقات، ولها كيفية معينة تتميز بها عن سواها، ولها أثر كبير في حياة المرتبطين بها، وأثر على صلات الإنسان الأخرى.

وفي أيامنا هذه: يتزايد الاهتمام الاجتماعي بهذه العلاقة تعويضاً للتفكك الأسري، الذي أصاب بعض المجتمعات، أو استعانة بها على أعباء الحياة النفسية والاجتماعية، أو استفادة منها في مجال الدعوة، وضم

الآخرين للاتجاه المطلوب؛ سواء كان صالحاً أو فاسداً، وقد ورد في الشريعة توجيهات بهذا الشأن.

وهذه نظرات في علاقة الصداقة؛ تستضيء بهدى القرآن الكريم والسنّة المطهرة في معالجة مسائلها.

- مهدت فيها بذكرٍ لصور الصلات الاجتماعية، كالشراكة والزمالة والأخوة والمخادنة والزوجية.
- ثم بيّنت معنى الصداقة، وبعض الألفاظ التي تورد مرادفة لها ـ أحياناً ـ كالخليل والقرين والجليس.
- وتناولت أهمية الصداقة وضرورتها للإنسان، وأهداف الصداقة المؤملة منها في الدنيا والآخرة.
- ذكرت بعدها أسس الصداقة المكينة، وهي: الحب، والتعارف، والفهم، والألفة، والثقة، والإخلاص، مبيّناً بشيءٍ من البسط أساسية كل منها في هذه الصداقة، بما جعل هذه الأسس تمثل لحمة هذا البحث وعموده الفقري.
- وبعدها تناولت مَن الذي تنبغي مصادقته، محدداً خصائصه بالعقل والدين وحسن الخلق.
- ثم حقوق الصداقة من الأصدقاء؛ سواء منها ما تعلق بالقلب، أو باللسان، أو بالعمل، أو بالمال.

- أمّا النموذج التطبيقي الأسوة للصداقة في محيط الإسلام فهو الصداقة بين الرسول ﷺ وأبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ حيث بيّنت الكمال في أسس الصداقة في العلاقة بينهما.

- وختمت البحث بالتنبيه على الثمرة التي ينبغي أن تثمرها الصداقة في تعامل الشخص مع الناس عموماً، بحيث تكون هذه الصداقة مدرسة يكتسب منها الفرد ارتقاء في أدبه، وعلاقته بالآخرين، لا أن تصبح تجمعاً تحزبيّاً تكرس النظرة العدائية والتنقصية للآخرين.

● هذه هي مسائل هذا البحث الموجز.

أسأل الله أن ينزل فيه البركة التي تعود على قارئه وكاتبه.

وصلّى الله وسلّم على نبيّنا محمد، وعلى آله وصحبه.

❋ ❋ ❋

تمهيد

الصلات الاجتماعية التي تجمع بين اثنين فأكثر من الناس، أنواع كثيرة كما أشرنا سلفاً.

منها: أنواع اضطرارية، لا اختيار للإنسان فيها، كصلة النسب والبنوة والأبوة، ونحوها.

ومنها: أنواع أخرى اختيارية، بمعنى أن للإنسان قدرة على إقامة هذه الصلة واستمرارها، أو عدم إقامتها أو قطعها بعد إقامتها، وهذه هي التي تعنينا، ومن أهمها:

الشراكة، والزمالة، والأخوة العامة، والمخادنة، والزوجية، والصداقة.

وسنبيّن المقصود بهذه الأنواع لنعرف موقع الصداقة بينها؛ بصفتها صلة إنسانية.

أمّا المشاركة: فإن المقصود بها: مخالطة بين

اثنين فأكثر، أو هي المقارنة في شيء بأن يكون بين اثنين فأكثر، لا ينفرد به واحد منهم.

والشراكة ـ في الغالب ـ ارتباط ظاهري بين شريكين أو شركاء؛ لأن الحقيقة أنه لا يوجد ارتباط ذاتي بينهم، عدا الأمر الخارجي هذا، ومن ثم تنتهي هذه الصلة بانتهائه؛ سواء كان مالاً أو غيره.

الزمالة: الزميل هو الرديف، أو هو النظير في الصناعة، والزمالة اجتماع على أمر؛ ينتج عنه مضارعة أو تعاون مصلحي.

فهي كالشراكة سوى أن هذه تكون في عين خارجة، والزمالة تكون في فعل مشترك.

وقريب من ذلك: الرفيق، وهو: الصاحب في السفر، ولهذا قال ابن منظور: «إذا عدا الرجلان بلا عمل، فهما رفيقان، فإن عملا على بعيريهما فهما زميلان»[1].

أمّا الأخوة: فهي رباط يجمع بين اثنين فأكثر، والغالب عموميته بأن يحوي أناساً كثيرين، خلافاً للشراكة والزمالة ونحوها، وقد يكون رباط خير وصدق

(١) انظر: لسان العرب ـ مادة (زمل).

وحق، كأخوة المسلمين فيما بينهم في الله، ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١].

وقد يكون خلاف ذلك: بأن تكون أخوة في الشر، وعليه كما قال سبحانه عن الشياطين: ﴿وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾[٢].

والأخوة واسعة من حيث طبيعتها، فأنت أيها المسلم أخ لكل مسلم في الأرض؛ بحكم ما ربط بينك وبينه، وكل متجاوز لحدود الله، منتهك لحرماته، فهو أخ للشيطان، فهي علاقة ولاء على أساس المبدأ، لا على أساس التآلف الروحي الخاص بين اثنين، أو الامتزاج النفسي.

أمّا المخادنة: فهي المصادقة والمصاحبة، والخدين هو: الصديق الذين يكون معك ظاهراً وباطناً.

ولكن استعماله غلب على مصاحبة الرجل للمرأة بدون عقد زواج، وكان هذا الأمر عرفاً سائداً عند بعض الجاهليين قبل الإسلام، فلمّا جاء محمد ﷺ بالدين الحق، حرّم الله ذلك بقوله: ﴿مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ﴾[٣].

---

(١) الحجرات: ١٠.
(٢) الأعراف: ٢٠٢.
(٣) النساء: ٢٥.

وعاد هذا العرف في الجاهلية الغربية اليوم، وعند من سلك سبيلهم من العرب والشرقيين، وإن لم يكن بهذا الاسم؛ بل باسم الصداقة، فالرجل منهم تكون له زوجة وصديقة أو عشيقة؛ بل حتى الاسم كان موجوداً في جاهلية ما قبل الإسلام، فكان الرجل منهم يصف البغي التي يعاشرها بالصديقة، كما جاء في حديث مرثد بن أبي مرثد عن بغي كانت في مكة، يقال لها: عناق، قال الراوي للحديث وهو: عبدالله بن عمرو بن العاص: «وكانت ـ أي: عناق ـ صديقته». وقد ألغى مرثد صداقته لعناق، وسأل الرسول ﷺ عن شرعية نكاحه لها فمنعه[١].

أمّا الزوجية: فهي العلاقة التي تقوم بين رجل وأنثى يكون بها كل منهما زوجاً للآخر ـ أي: قريناً وفق عقد ديني أو عرفي أو مدني ـ وتقوم عليه حقوق وواجبات على كل منهما، وله من قبل الطرف الآخر[٢].

---

(١) انظر: بذل المجهود في حل أبي داود (١٥/١٠)، وتحفة الأحوذي بشرح الترمذي (٢١/٩).

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٤٠٧/١).

وينبغي أن نعلم أن عقد الزواج ليس مأطوراً بهذا التقسيم الحاد في غير مجتمعات المسلمين، لأنه ديني مدني معاً، بحكم أن النظام السياسي والمدني مستمد من الشريعة=

وقد ترتقي هذه العلاقة إلى أوج من السمو، يصبح كل من الزوجين للآخر صديقاً وخليلاً وحبيباً، كما يؤكده الإسلام بين الزوجين المسلمين ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾(١).

وقد لا تصل إلى ذلك؛ بل تبقى ارتباطاً مصلحياً أو عرفياً روتينياً ـ كما تعيشه بعض البيئات غير المسلمة ـ فيتخذ الزوج إلى جانب الزوجة صديقة، وتتخذ هي عشيقاً أو صديقاً.

❋ ❋ ❋

= الإسلامية وأن العرف في المجتمع المسلم تابع للشرع، غير مخالف له، وإلا كان مردوداً.

(١) الروم: ٢١.

معنى الصداقة

الصداقة من الصدق، الذي يدل على قوة في الشيء؛ سواء كان قولاً أو غيره كما يقول ابن فارس[١]. وهو خلاف الكذب الذي يدل على الضعف لكونه باطلاً.

والصدق هو الإخلاص ـ كما في قولهم صدقه النصيحة أي أخلصها له ـ وهو الوفاء كما في قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ﴾[٢].

وهو التزام الحقيقة دون زيادة أو نقصان في مثل قولك (صدقني فلان الحديث) وهو: الصلاح والرضا والجودة، كما ذكر العلماء في تفسير قوله سبحانه من سورة الإسراء: ﴿وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٣٣٩/٣).
(٢) آل عمران: ١٥٢.

مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَـٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾[١][٢].

هذه المعاني المشرقة وما يماثلها ممَّا توحي به لفظة الصدق من صفاء وسمو وكمال وثبات، تتمثل في الاسم الذي نحن بصدده وهو (الصداقة) ومثلها: المصادقة، وهي: علاقة مودة ومحبة بين اثنين فأكثر، تحمل جميع معاني الصدق[٣] السالفة، والصديق هو واحد الأصدقاء[٤]. وهم الذين تصادقوا ـ أي: قامت بينهم علاقة الصداقة[٥].

فالصداقة ارتباط بين الأصدقاء أسمى من العلائق السابقة وأخص منها، وقد يوجد بعضها معه، فقد يكون شريكاً أو زميلاً، أو نحو ذلك، وصديقاً في الوقت

---

(١) الإسراء: ٨٠.

(٢) انظر: ما ذكره المفسرون فيها خاصة فتح القدير للشوكاني. وروح المعاني للألوسي (٢٤٣/١٥) حيث قال الألوسي (مدخل صدق) أي: إدخالاً مرضياً جيداً.

(٣) انظر: لسان العرب ـ مادة (صدق) والقاموس المحيط (صدق) أيضاً.

(٤) ويجمع كما ذكر ابن منظور على ـ صدقان، أصادق ـ لسان العرب ـ مادة (صدق).

(٥) وقد ينحصر معنى تصادقوا في الصدق في الحديث صدقاً من القائل وتصديقاً من السامع كما ورد في سيرة ابن هشام (٢٤٢/١) أن أربعة نفر خرجوا من بين القرشيين قبل الإسلام ـ في عيد لهم ـ فتصادقوا وتكاتموا.

نفسه، ولكن هذه العلائق تتركز في الصلة الظاهرية... أمّا الصداقة: فإن مظاهرها تمثل تجاوباً لما استقر في الباطن، من ارتباط قلبي فاعل، عدا ذلك فهناك تعريفات للصداقة يذكرها بعض من يبحث أمثال هذه المواضيع، أجمل بعضها ابن مشرف في قوله:

وفسروا الصداقة ... الحب حسب الطاقة
وقال من قد أطلقا ... هي الوداد مطلقا
والآخرون نصوا ... بأنها أخص
محبة بلا غرض ... والصدق فيها مفترض
وحدّها المعقول ... عندي ما أقول
فهي بلا اشتباه ... محبة في الله[1]

ولا شك أن الصداقة يعرض لها ما يعرض لغيرها من العلاقات، حتى تذبل حقيقتها، وتصبح شكلاً لا روح فيه، ومظهراً يخفى ضده في الباطن ـ كما قال أبو الطيب المتنبي:

ومن نكد الدنيا على الحر أن يرى
عدواً له ما من صداقته بُدُّ[2]

(١) ديوان ابن مشرف، ص: ١٠٦.
(٢) ديوان المتنبي بشرح البرقوقي (٢/٩٣).

فهذه الصداقة التي يتعامل أبو الطيب مع صاحبه باسمها شكل ظاهري؛ لأن حقيقة العلاقة بينهما هي العداء، والعداوة، والصداقة ضدان لا يمكن أن يجتمعا حقيقة من كل وجه.

❋ ❋ ❋

مرادفات للفظة الصداقة:

هناك ألفاظ ترد ـ أحياناً ـ في النصوص الشرعية، وفي كلام العلماء وغيرهم، تبدو مرادفة للصداقة، كالأخوة، والخلة، والقرين والجليس مرادفاً للصديق.

فما مدى التطابق بين هذه الألفاظ وبين لفظتي الصداقة والصديق؟

الأخوة:

سبقت الإشارة إلى رباط الأخوة العام، وهنا سيتم ذكرها لتميزها عن الصداقة؛ فالأخوة علاقة بين شخصين فأكثر، جمعهم صلب أو بطن أو هما معاً، ويتبع ذلك الأخوة من الرضاع، التي تكون الرضاعة سبباً فيها.

وهي ـ أيضاً ـ علاقة مصاحبة وملازمة كما في

قول لبيد (إنما ينجح إخوان العمل)، وتطلق كثيراً على الصداقة[١].

وأجلّها: الأخوة القائمة على الإيمان بالله والحب فيه وله، وهي التي حظي بالقدر الأكبر منها **أبو بكر الصديق** ـ رضي الله عنه ـ مع رسول الله ﷺ **«إن أَمَنَّ الناس علي في صحبته وماله أبو بكر، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربّي لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن أخوة الإسلام ومودته»**[٢].

ولا ريب أن الأخوة سواء كانت أخوة في الدين، كالأخوة الإسلامية أو أخوة شراكة أو ملازمة في عمل ونحوه أعمّ من الصداقة؛ لأن الأخوة الإسلامية تقوم على أساس الإيمان بالإسلام، فالمسلم أخ لكل مسلم، ما دام ملتزماً بدينه أيّاً كان، ولا هكذا الصداقة. ولهذا قال ابن حجر: إن ما ورد من ارتباط أبي بكر بالرسول في أخوة الإسلام لا ينفي اشتراك الصحابة الآخرين فيها، وإن كان لأبي بكر منها المقام الأكبر[٣].

---

(١) انظر شطر بيت لبيد والكلام على الأخوة المذكورة في: لسان العرب ـ مادة (أخا)، وكذلك القاموس المحيط المادة نفسها.

(٢) صحيح البخاري/ كتاب فضائل الصحابة ـ الباب الثالث.

(٣) انظر: فتح الباري (١٣/٧).

فأخوة الرسول ﷺ وأبي بكر فوق الأخوة العامة، فهي صداقة وإن لم يطلق عليها هذا اللفظ، ومثلها ـ تقريباً ـ أخوة المؤخاة التي عقدها الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة، فالعلاقة بين المتآخيين المهاجري والأنصاري فوق الأخوة العامة التي تربط كلاً منهما بسائر المؤمنين.

وأمّا الخلة:

فهي الصداقة في أعلى صورها، لذا قالوا: الخل هو الصديق المختص، والخليل: الصديق الخالص[١].

قال الزمخشري: «الخليل هو الذي يوافقك في خلالك، ويسايرك في طريقك، أو الذي يسد خللك وتسد خلله، أو يداخلك خلال منازلك وحجبك»[٢].

وقيل: إن أصل الخلة انقطاع الخليل إلى خليله، بأن يصطفيه لنفسه ويمحضه حبه، ولهذا قيل: إنه لا شركة فيها، بمعنى أنها تمحض لواحد فقط[٣]، حتى قيل:

---

(١) انظر: القاموس المحيط ـ مادة (خلل).
(٢) انظر: الكشاف للزمخشري (٥٦٦/١).
(٣) انظر: فتح الباري (٢٣/٧)، وعين العلم (٣٥٦/٧).

قد تخللتِ مسلكَ الروح مني وبذا سمي الخليل خليلا
فإذا ما نطقتُ كنتِ حديثي وإذا ما سكتُّ كنتِ الغليلا[١]

لهذا رأى بعضهم: أنه لا ينبغي صرفها لغير الله؛ لأنه ـ سبحانه ـ أجلّ وأعظم من يفرد بالحب الذي لا شركة فيه[٢].

وليس بمسلَّم ـ، على إطلاقه ـ نعم إن الذي ينصرف بمحض حبه لغير الله وينحجز به عن الله قد اتخذ خليلاً له دون الله، سيجده عدواً يوم القيامة... أمّا المؤمن بالله المهتدي بهدي رسوله، فإن توجهه بحبّه لله ـ سبحانه ـ يتأدى به إلى أن يفيض من هذا الحب ما يكون علاقة بينه وبين المؤمنين الآخرين أخوة، وخلة هي أثر من آثار حبه لله؛ ولهذا بيّن ـ سبحانه ـ أن الخلة التي تربط بين المؤمنين المتقين في الدنيا، تبقى متصلة يوم القيامة؛ لأنها في الله ولله، قال سبحانه في سورة الزخرف: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾[٣]. قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «أي كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة إلا

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (١٥٤/٥).
(٢) انظر: عين العلم (٣٥٦/٧).
(٣) الزخرف: ٦٧.

ما كان لله ـ عز وجلّ ـ فإنه دائم بدوامه»[١].

ومثل ذلك: ما أخرجه أبو داود والترمذي عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل**»[٢]. والمقصود أن الخلة يراد بها الصداقة، وبالأخص حينما تكون مقصورة على واحد مصطفى بين الأصدقاء الآخرين كما يراد بها مرتبة أعلى من الصداقة[٣].

وخلة الخليلين: إبراهيم، ومحمد ـ عليهما الصلاة والسلام ـ لربهما من هذا المراد الذي لا تقع الشركة فيه من المخالل ـ كما ورد في الحديث ـ ولا تسمّى هذه صداقة، فلا يقال إن محمداً ﷺ صديق الله[٤].

والقرين:

يطلق على الصديق ـ أيضاً ـ والمقصود به عموماً: الصاحب الملازم، وجمعه قرناء[٥]. ومنه قوله

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٣/٢٩٥).
(٢) حديث حسن. انظر: جامع الأصول (٣/٢٩٥).
(٣) انظر: فتح الباري (٧/٢٣).
(٤) سيأتي تناول خلة الرسول لربه وأثرها في صداقته لأبي بكر.
(٥) انظر: المعجم الوسيط ـ مادة (قرن)، أمّا القِرن وجمعه أقران، فهو: الكفء والنظير في الشجاعة ونحوها.

ـ سبحانه ـ في سورة الصافات عن أهل الجنة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾...﴾ الآيات[١]. وكذلك قول طرفة بن العبد:

عن المرء لا تسأل وابصر قرينه
فإن القرين بالمقارن يقتدي[٢]

والجليس:

هو المجالس، يقال: جليس وجِلْس مثل: خدين وخِدن، والجلوس هو القعود، وعليه: فالجليس هو المقاعد سواء كان مرة كما في حديث: «كان النبي ﷺ يصلّي الصبح وأحدنا يعرف جليسه»[٣]، أو كان أكثر وهو ما تفيده صيغة المبالغة ـ ويأتي عليه كما يأتي على الأول قوله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إمّا أن يحذيك، وإمّا أن تبتاع منه، وإمّا أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإمّا أن تجد**

---

(١) الصافات: ٥٠، ٥١.

(٢) البيت من معلقة طرفة بن العبد المشهورة، انظر: أشعار الشعراء الستة الجاهليين للشنتمري، ص: ٤٠٨.

(٣) رواه البخاري ـ كتاب المواقيت ـ باب ١١.

منه ريحاً خبيثة»[١].

ومنه سؤال الناس حينما يريدون معرفة حال شخص ما عن جلسائه؛ إذ لا شك أن المقصود جلساؤه الذين يداوم على مجالستهم، لا الذين يعرض له الجلوس معهم مرة أو مرتين؛ ذلك أن إكثاره الجلوس مع أشخاص بذواتهم يعني: أنسه بهم وميله إلى حالتهم؛ ومن ثم مصاحبتهم وذلك نوع من الصداقة.

بين الأخوة والمحبة والصداقة: رتب صاحب (عين العلم) هذه العلائق الثلاث من الأدنى إلى الأعلى، على النحو التالي:

الأدنى من مراتب الحب المعبّر عنه بالمصاحبة الأخوةُ ثم المحبة، وهي الموجبة لزيادة الصحبة من الأخوة، وهي ما تمكن في حبة القلب ثم الخلة، وهي الصداقة والمحبة الصادقة[٢].

❋ ❋ ❋

(١) رواه البخاري ـ كتاب الذبائح ـ باب المسك، ص: ٣١.
(٢) انظر: عين العلم (١/٣٥٥).

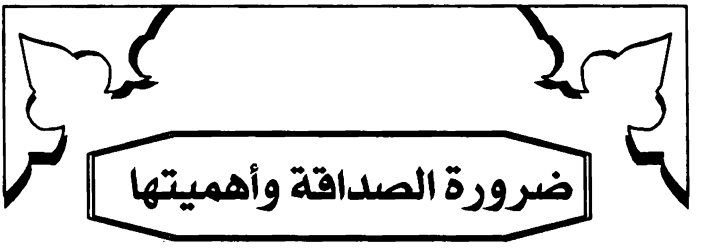

ضرورة الصداقة وأهميتها

كما أن الإنسان مدني بطبعه ـ كما يقرر علماء الاجتماع ـ لا يستطيع الوفاء بمطالبه المادية والأمنية بمفرده، مما يقضي بضرورة كونه اجتماعياً، يتفاعل مع الآخرين أخذاً وعطاءً، حيث يمكن قيام العمران البشري، كذلك فهو طالب للأنس بفطرته، ولا يكتمل استقراره النفسي، حتى يسكن إلى غيره، ويمتزج بإلف تذهب به وحشته، وتأنس به نفسه، حتى قيل: إن تسمية الإنسان إنساناً من الاستئناس.

ولهذا اعتبر التوحش في الإنسان، والانطواء على الذات، والنفرة من الآخرين خللاً في الشخصية، ومرضاً نفسياً يحتاج إلى علاج.

ولا ريب أن أَولى من يحقق للإنسان الطالب للأنس هذه الحاجة الفطرية هو الصديق، من خلال حبل الصداقة الذي يمثل خير الحبال في العلائق البشرية، إذ

ما سواه إما أن يفتقد بعض الشروط اللازمة لتحقيق الأنس، كالتآلف الروحي في مثل علاقة الأخوة العامة، وإما خاص لكنه ارتباط قسري لا يد للإنسان فيه ليقيمه وفق متطلباته الشخصية الخاصة، كالأبوة والبنوة والأخوة النَّسَبية، وإن كان المفترض أن يتحقق فيها كثير من متطلبات الشخص.

ولهذا جعل العلماء من معاني الأنس الصداقة، فقالوا: (الإنس ـ خلاف الجن ـ والصديق الصفي)[1]. وفي ذلك قيل:

وما ذاق طعم العيش من لم يكن له

صديق إليه يطمئن ويسكن

هذا في جانب الضرورة النفسية، وهناك ضرورة أخرى في حياة الإنسان العملية، ذلك أن الإنسان ـ في غالب أحواله ـ لا يستطيع تحمل جهد بناء حياته، ومواجهة أعاصيرها في مختلف جوانبها الشخصية والأسرية والمادية وغيرها بمفرده، فكان لا بد له أن يأوي إلى ركن شديد ينير بصيرته في تخطيطه ويسند

(١) المعجم الوسيط ـ مادة (أنس). انظر فيما سبق أيضاً: الصحاح المادة نفسها.

جهده في حركته، ويشد معه الشراع أمام العواصف، ويواسيه أو يسليه، أو يتوجع له عند عثراته[١].

فمن يا ترى ينوء بهذا الحمل لغيره، ويبلغ الجهد من نفسه لسواها اهتماماً بأمره، وحدباً على شأنه، وفهماً لحركته في هذا الشأن، وبقاء على العهد معه، وحفظاً لأسراره إن لم يكن الصديق؟

قد يقال: إن الإسلام الذي وجه المسلمين في شأن التعامل فيما بينهم قد ارتقى بهذا التعامل إلى مستوى رفيع من التكافل الذي يسلك بالفرد في هذا المجتمع مسالك البناء الصالحة، محاطاً برعاية هذا المجتمع.

وهذا صحيح ولكن تلك الرعاية لها صبغة العموم بحيث لا تغطي دقائق حركات الفرد في أمور قد لا يستطيع الأب القريب معالجتها، أو لا يستطيع الفرد ـ أحياناً ـ تجاوز نطاق نفسه بها لخصوصيتها إلا لصديقه الذي يقع منه موقع نفسه[٢].

---

(١) على حد قول ابن الرومي:

ولا بد من شكوى إلى ذي مروءة
يواسيك أو يسليك أو يتوجع

(٢) قال ابن مشرف ـ رحمه الله ـ في تعريف الصديق: «وقيل:

من لا يطعنا في قوله أنت أنا

ديوان ابن مشرف، ص: ١٠٦.

وقد يقال: إن الأب والأخ بالنسب أقرب من الصديق وأشد وشيجة، فكيف ترفع هذه المنزلة عنهما إليه؟

والحقّ أن الصديق أوثق صلة من الأب والأخ إذا كانت صلتهما مفتقدة خصائص الصداقة. ولهذا قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ فيما روي عنه: «الصديق أكبر من الوالدين ـ أي: أهم بالنسبة لصديقه ـ»، قال ـ رضي الله عنه ـ: «إن الجهنميين لمّا استغاثوا لم يستغيثوا بالآباء والأمهات، فقالوا: ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[1]»[2].

قيل لخالد بن صفوان: «أخوك أحب إليك أم صديقك؟» فقال: «إن أخي إذا لم يكن لي صديقاً فلا أحبه»[3].

وفي هذا المعنى كتب الأحنف بن قيس إلى صديق له (إذا قدم عليك أخ موافق ليكن منك مكان سمعك وبصرك، فإن الأخ الموافق أفضل من الولد المخالف، ألا تسمع إلى قول الله ـ عز وجلّ ـ لنوح في

---

(١) الشعراء: ١٠٠، ١٠١.

(٢) روح المعاني للألوسي (٢٢٠/١٨).

(٣) كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا، ص: ١١٤.

شأن ابنه ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾[1])[2].

نعم إذا جرت في عروق صلتي الأبوة والأخوة دماء الصداقة الزكية فقد اجتمع الحسنيان.

وهكذا فالإنسان محتاج في حياته النفسية والعملية الحركية إلى الصداقة لا غنى له عن الصديق. وبالمقابل كان أثر الصديق على صديقه أعظم الآثار، سواء في اتجاهه نحو الخير أو الشر، وهذا ما وجهت إليه النصوص الشرعية، وحِكَم الحكماء لينتقي الإنسان من يصادقه، فيكون له التأثير الخيّر عليه، قال سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ﴿٢٨﴾ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِلْإِنسَٰنِ خَذُولًا ﴿٢٩﴾﴾[3].

وقال سبحانه ـ حكاية عن أهل الجنة وهم يتذاكرون فيها ـ: ﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّى كَانَ لِى قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ

---

(١) هود: ٤٦.

(٢) المصدر السابق، ص: ٨٣.

(٣) الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩.

﴿ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾[١].

وفي هذا المعنى وردت الأحاديث الشريفة التي تبيّن الأثر الكبير للصديق على صديقه، خاصة في أمر دينه ومروءته، كما في قوله ﷺ: «**مثل الجليس الصالح والسوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيبةً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحاً خبيثةً**»[٢].

وكما في قوله ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**»[٣].

وفي ذلك يقول الشاعر:

عن المرء لا تسأل وابصر قرينه

فإن القرين بالمقارن يقتدي[٤]

---

(١) الصافات: ٥١ ـ ٥٧.

(٢) متفق عليه ـ وقد سبق.

(٣) حسن كما في جامع الأصول ـ وقد سبق ذكره.

(٤) من معلقة طرفة ـ كما سبق.

وقال غيره:

فلا تصحب أخا الجهل وإياك وإياه
يقاس المرء بالمرء إذا ما المرء ماشاه

وهذه النصوص التي تبيّن الأثر الكبير للصداقة على المتعاقدين عليها، تنبه الإنسان إلى أهمية الوعي عند اختيار الأصدقاء وتوجهه إلى التمسك بالصالحين الأخيار، ومجانبة الذين يشينون أنفسهم ومن لزمهم.

وتأكيداً على ذلك: جاء الأمر الصريح بأن يحصر المسلم صداقته بالمؤمن التقي الصالح، فقد روى أبو سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً، ولا يأكل طعامك إلا تقي**». أخرجه أبو داود، والترمذي، وأحمد، وابن حبان، والحاكم[1].

وروي عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ قوله: «عليك بإخوان الصدق، تعش في أكنافهم، فإنهم زينة في الرخاء، وعدة على البلاء، ولا تصحب الفاجر فيصيبك من فجوره». ومن المأثور

(١) قال محقق جامع الأصول: إسناده حسن، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٦٦٦/٦).

المنسوب إلى عيسى ـ عليه وعلى نبيّنا محمد الصلاة والسلام ـ: «صاحبوا من تذكركم بالله رؤيته، ومن يزيد عملكم كلامه، ومن يرغبكم في الآخرة عمله»[١].

وفي هذا المعنى يقول أحد الشعراء:

اجعل قرينك من رضيت فعاله
واحذر مقارنة اللئيم الخائن
كم من قرين شائن لقرينه
ومهجن منه لكل محاسن

وهكذا يضاف إلى أهمية الصداقة كونها إذا ما وُفق الإنسان فيها بالصديق الملائم عوناً على طاعة الله، وعلى مجاهدة الشيطان، وسبباً من الأسباب التي يأخذ بها المسلم في جهاده ودعوته، حتى لا يشعر بالغربة والوحدة عندما تضيق في وجهه السبل، وتتجهم الوجوه.

والصداقة الموفقة بعد ذلك ذخر للإنسان بعد مفارقته هذه الحياة، يذخرها لأولاده، برعايتهم وحفظ العهد ـ من قبل أصدقائه ـ معهم، ولقد أوصانا ديننا برعاية العهد بين الأصدقاء وذوي صديقهم بعد وفاته،

(١) انظر: الأثرين السابقين في: إحياء علوم الدين (١٥٩/٢، ١٧١).

وعدم قطع الحبال بالموت، ولقد كان ﷺ وفاءً لزوجته الكريمة خديجة، يتعاهد صديقاتها بعد وفاتها بسنين، وكان ـ كما روت عائشة ـ يذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء، ثم يبعثها في صدائق خديجة[1].

ويحضرني هنا: ما أرسله صديق للشريف الرضي حينما أحس بالأجل يحاصره طالباً منه تعاهد بنيه من بعده، مُدِلاً عليه بما بينهما من صداقة. يقول من قصيدة طويلة:

هو الأجل المحتوم لي جد جده
وكان يريني غفلة المتواني
ولا بد منه ممهلاً أو معاجلاً
سيأتي فلا يثنيه عني ثاني
هنالك فاحفظ في بني أذمتي
وذد عنهم روعات كل زمان
فإني اعتدُّ المودة منك لي
حُساماً به يقضون في الحدثان

(١) رويت عدة أحاديث في تعاهد النبي ﷺ لصدائق خديجة في: البخاري ومسلم وغيرهما.
انظر: جامع الأصول (١٢١/٩).

وفاءً ومدّاً للجناح عليهم
وضنّاً بهم عن مسّ كل هوان
وحرمة أسلاف كرام حقوقها
ديون على الخلين يصطحبان
وقد ضمن الله الجزاء لمحسن
وحسبك من وافٍ وفيّ بضمان

وقد أجابه الشريف الرضي بقصيدة طويلة، قال فيها عن هذه الصداقة:

أكرر في الإخوان عيناً صحيحة
على أعين مرضى من الشنآن
فلولا أبو إسحاق قلّ تشبثي
بخلٍ وضربي عنده بجران
إخاء تساوى فيه أنساً وألفة
رضيع صفاء أو رضيع لبان
تمازج قلبان مزاج أخوة
وكل طلوبي غايةِ أخوان

إلى أن يقول فيها:

وإنك ما استرعيت مني سوى فتى
ضموم على رعي الأمانة حان

حفيظ إذا ما ضيع المرء قومه
وفيٌّ إذا ما خُوِّن العضدان[١]

كذلك فالصداقة ذخر يذخرها الإنسان لنفسه، لأن الصداقة رعاية لعهد وبناء حب في الله، والإنسان مثاب على ذلك، وكلما زاد حفظاً وحباً زاد مقامه عند الله وثوابه. ولهذا جاء في الحديث الشريف الذي رواه أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما تحاب رجلان في الله ـ تبارك وتعالى ـ إلا كان أفضلهما أشدهما حباً لصاحبه**»[٢].

والصديق ذخر بعد الموت في دعائه لصديقه، وبذله ما ينفعه من صدقة وغيرها له. قال الأصفهاني محمد بن يوسف: «وأين مثل الأخ الصالح أهلك يقتسمون ميراثك، ويتنعمون بما خلّفت، وهو منفرد بحزنك، مهتم بما قدمت، يدعو لك في ظلمة الليل وأنت تحت أطباق الثرى»[٣].

---

(١) انظر: رسائل الشريف الرضي وأبي إسحاق الصابي من ١٨ حتى ٢٦.

(٢) صححه ابن حيان والحاكم، ووافقه الذهبي.
انظر: شرح السنة للبغوي (٥٢/١٣).

(٣) إحياء علوم الدين (١٨٦/٢).

وقال عبيدالله بن الحسن: «يا فلان استكثر من الصديق، فإن أيسر ما تصيب أن يبلغه موتك فيدعو لك»[١].

وفي يوم القيامة يبرز أثر الصداقة الموفقة وأهميتها في لقاء الأصدقاء وشفاعة بعضهم لبعض، وامتداد هذه الصداقة في مقعد الصدق في الجنة، وحينها تنقطع الصداقات الباطلة بين غير المتقين، فتصير عداوة ولعنة، فيصبحون كما أخبر القرآن الكريم عنهم ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[٢].

وقد أثر عن علي - رضي الله عنه - قال: «عليكم بالإخوان فإنهم عدة في الدنيا والآخرة، ألا تسمع قول أهل النار ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[٣].

وورد عن بعض السلف: «استكثروا من الإخوان فإن لكل مؤمن شفاعة، فلعلك تدخل في شفاعة أخيك»[٤].

❋ ❋ ❋

(١) انظر: الإخوان لابن أبي الدنيا، ص: ٧٨.
(٢) الشعراء: ١٠٠، ١٠١.
(٣)(٤) انظر: إحياء علوم الدين (٢/١٦٠).

أهداف الصداقة

لعل ما سبق في أهمية الصداقة قد أوجد تصوراً عن الأهداف التي ترجى من وراء هذه العلاقة.

وإجمالاً فالأهداف المطلوبة من عقد الصداقة لا تخرج ـ في الغالب ـ عمّا يأتي:

١ ـ تحقيق حاجة النفس البشرية بارتباطها بمثيل لها تألفه وتأنس به، وتسكن إليه، وتجد في قربه جلاء الْهمِّ، وبرد الأمان، وأعظم ما تتجلى قيمة هذا الهدف لدى الإنسان في غربته، سواء كانت غربة حسية، بعيداً عن أهله ووطنه وذويه، أو غربة معنوية كمن يعيش في مجتمعه بين أهله وذويه، ولكنه غريب عنهم بفكره وعلمه، وبدينه وعقيدته.

٢ ـ الإواء إلى مرفأ مأمون: حيث يستطيع الإنسان أن يبوح بسره، وأن يتبسط في كشف ما يعتلج

بصدره ويؤرق نفسه مما يؤذيه لو حبسه، لأن النفس البشرية يسري عنها شعورها بأن أحداً يشاركها همومها وخوالجها، ويرهقها كتمان ذلك، حتى يصل بها ـ أحياناً ـ إلى المرض أو الانفجار.

والإنسان مع ذلك مطمئن إلى من أودعه سره، واثق بأنه لديه كما هو لدى نفسه، لأنه صديقه.

٣ ـ معرفة نفسه وكشف نقائصها من خلال الصديق الذي يكون مرآة يستبين من خلالها الإنسان حقيقة نفسه، ويستعين بها في تكميلها وتجميلها.

وهذا أمر شرعه الإسلام بين المؤمنين عموماً، فقد ورد عن أنس ـ رضي الله عنه ـ، عن الرسول ﷺ أنه قال: **«المؤمن مرآة المؤمن»**[1]. فضلاً عن قيامه على مبدأ الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر. لكن الواقع أن غير الصاحب الملازم أقل منه في تحقيق ذلك بدرجات: وذلك لأنه يَخْفى على غير الصديق أمور كثيرة من النواقص، والغالب أن ما يخفى أعظم مما

(١) قال المباركفوري: قال المناوي: إسناده صحيح.
انظر: تحفة الأحوذي (٥٦/٦).

يظهر؛ لأن ما يظهر ـ في الغالب ـ أثر لأسباب نقصٍ غير ظاهرة من الشبهات والشهوات الفكرية والنفسية، ثم إن دالة الصداقة بين الصديقين مما تسهِّل ـ غالباً ـ أداء الصديق لمهمته في التبصير والتقويم، وهذه ممّا لا تتيسر لغيره.

٤ ـ استكمال النقص في الجهود والمواقف، فالإنسان ـ وحده ـ ضعيف أمام الحياة، وما تتطلبه من اختيار بين البدائل، مما قد يكلّ عنه فكره وحده، ومن جهد عملي في إنجاز ما انتهى إلى اختياره في هذه الحياة.

هنا يكون الصديق ساعداً أيمن يبذل رأيه ومشورته في الاختيار ويسنده في اختياره، ويشعره بمعيته معه في عمله ويقف معه إذا نابه في ذلك شيء. فهو سنده الذي يتقوى به ـ بعد الله ـ على نوائب الحدثان، ومرفؤه الذي يأوي إليه إذا هاجت الأعاصير، وتغير الزمان.

٥ ـ التعاون على البر والتقوى في خاصتهم، وفيما وراء ذواتهم وهذا التعاون يتناول جوانب الحياة كلها:

* فهو تعاون على العلم والمعرفة، وعلى النظر في سبيل السعادة التي يبغون، ممَّا يصعب تحقيقه في

صخب الحياة العامة، وقد تهرب منه النفس ـ لو جلست وحدها ـ إذا لم تجد من يعينها. ولهذا أمر الله ـ سبحانه وتعالى ـ الكفار أن ينظروا في رسالة محمد ﷺ نظرة إنصاف وعدل، ونبههم إلى أن المواقف الجماعية التي تهيمن فيها العصبية، ويسود فيها رأي الأقوى، ولو لم يكن صواباً تضيع فيها معالم الحق، وأن أسلم موقف هو: أن يقوم الشخص وصديقه الصفي له، فإن لم يكن فلوحده، ثم يتفكر وينظر فيجد الحق واضحاً جلياً، يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُواْ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾[1].

* وهو تعاون على العمل بطاعة الله ـ سبحانه وتعالى ـ ذلك أن الإنسان قد تسمو نفسه ـ أحياناً ـ وتشف روحه، فيكون مستعداً لعمل ما يقربه إلى ربه، وما يرتفع بحاله عن واقعها المتقهقر، لكن فردانيته واستحواذ النفس الأمّارة بالسوء والشيطان الغرور، تجتمع عليه، وتقاوم حماسته حتى تذوب وتتبخر، فإذا ما استعان العبد ـ بعد الله ـ بصديقه المؤمن، ونفخ فيه من تلك الروح المندفعة، صار كل منهما

(١) سبأ: ٤٦.

عوناً للآخر على المعوقات، واستطاعا تحويل تلك الحماسة الروحية والمشاعر إلى عمل وحركة، وهذا أمر محسوس، حتى إن بعض الصالحين كانوا إذا هموا بعمل صالح من صدقة أو زيارة لمريض ونحوه، أو عمرة إلى بيت الله استدعوا أصفياءهم وأخبروهم ليشدّوا أزرهم، ويقووا همتهم حتى لا يتقاعسوا عن التنفيذ بعد ذلك.

* وهو كذلك تعاون على الدعوة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ والقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأن هذه الشعيرة الاجتماعية التي لها تعلق بالناس تتطلب من الجهد علماً وحركة، وتحملاً قدراً كبيراً يحوج المسلم أن يستعين ـ بعد الله ـ بغيره عليه، وأولى من يكون ذلك هو الصديق الذي يكاشفه بما يعرض له في هذا المجال من خلل فيه ـ هو ـ فيعينه على سده، وبما يلاقيه فيُسَرِي عنه، وبما ينويه فيُقَوِمُه.

وقد ذكر الله ـ سبحانه ـ عن نبيّه موسى ـ عليه وعلى نبيّنا صلاة الله وسلامه ـ أنه لما أمره بدعوة فرعون وقومه، طلب منه أن يجعل له وزيراً أي: معاوناً تزول به عنه الوحشة، وتقوى به الدعوة التي يحملها، وقد حدّد موسى ـ عليه السلام ـ ذلك الشخص بأنه هارون أخوه، الذي يعرف شخصيته ويثق به. وقد امتن الله عليه بإعطائه

ما طلب، وقد ذكر العلماء أن هارون نُبِّيء ساعتئذ، مع أنه لم يكن مع موسى في ذلك المكان[١].

ولوط ـ عليه الصلاة والسلام ـ قال حينما ضايقه قومه بإعراضهم عن دعوته، واستهتارهم به، والهمّ بالاعتداء على ضيوفه، قال فيما حكى القرآن ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾[٢].

أي: إلى قوة تساعدني عليكم من عشيرة أو ولد ونحوه[٣]. ولا ريب أن الصديق من أقوى الأركان التي يأوي إليها الإنسان بعد الله[٤].

٦ ـ التحصن بهم ـ بعد كتاب الله وسنة رسوله ـ من جواذب الشيطان ومغريات الحياة الدنيا وفتن الأهواء، حيث تؤثر استقامتهم على الحق ونفرتهم من التلبس بالباطل في ذات أنفسهم، وفي صديقهم على هذا الصديق فيعيش في حصانة وحفظ، حتى إذا ما تلوث بشيء من تلك الأدران

---

(١) انظر: روح المعاني للألوسي (١٨٦/١٦).

(٢) هود: ٨٠.

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥١٧/٢).

(٤) ورد في البخاري وغيره عن رسول الله ﷺ: «**يغفر الله للوط أن كان يأوي إلى ركن شديد**» أي: إلى ربه.

نتيجة بعده عنهم لعارض من العوارض، أو لشهوة جامحة، أو لشبهة خاطرة، فإنهم فور ما يعود إليهم يعالجون هذا الحدث بما يستحقه، ويغسلون الدرن عن صاحبهم، ويقاومون أسبابه، لأن مقتضى الصداقة والخلة أن يبادروا إلى ذلك وفاء لصديقهم، ورعاية لصداقتهم.

وهذا الهدف من أهم أهداف الصداقة السامية؛ لأن انفراد الإنسان عن مصاحبة الصالحين يغرى به الشيطان، ويجعله ضعيفاً قابلاً للانحراف، وإنما يأخذ الذئب من الغنم القاصية[1]؛ بل إن بعد المؤمن عن صحبة الصالحين بداية للتحول نحو سواها، ولذلك جعل المولى ـ سبحانه ـ الانصراف عن المؤمنين الصادقين، وعن الاندماج فيهم إيثاراً لغيرهم من أهل الدنيا ودنياهم، فحذّر من ذلك رسوله محمداً ﷺ في قوله في سورة الكهف: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا ﴿٢٨﴾﴾[2].

---

(١) ذكر أحمد في مسنده حديثاً بهذا المعنى. انظر: المسند (٥/٢٣٣).

(٢) الكهف: ٢٨.

٧ ـ الذخر الأخروي؛ لأن الصداقة تمثل للمسلم رصيداً يتزوده من حياته الدنيا لحياته يوم القيامة وأعظم به من رصيد؛ ذلك أن الصداقة ذاتها عمل صالح يتقرب به إلى الله، وما فيها من صنوف التزاور والتعاون والتحاب، كلها زاد للمؤمن، ولهذا روى معاذ بن جبل عن النبي ﷺ يرفعه إلى ربه عز وجلّ: «**حقت محبتي للمتحابين فيّ، وحقت محبتي للمتواصلين فيّ، وحقت محبتي للمتباذلين فيّ، وحقّت محبتي للمتزاورين فيّ**»[(١)].

وكل هذه الأعمال من آثار الصداقة بين الأصدقاء. وقد ورد في رواية أخرى النص على الصداقة ذاتها: «**وحقت محبتي للمتصادقين فيّ**»[(٢)].

ومثل ذلك الدعاء من الصديق لصديقه حيّاً وميتاً، وكذلك الشفاعة التي يكون الإنسان أحوج ما يصير إليها ذلك اليوم، حيث يكرم الله بعض عباده بالشفاعة لمن

---

(١) قال البنا: مرتب المسند: صححه الحاكم وقال: على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.
انظر: الفتح الرباني (١٥٨/١٩).

(٢) انظر: مسند أحمد (٢٢٩/٥).

ارتضى، فيحظى بها من صديقه المؤمن المكرّم حين يتمنى أهل جهنم تلك الشفاعة والصداقة ﴿فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾[1].

❋ ❋ ❋

(١) الشعراء: ١٠٠، ١٠١.

أسس الصداقة

الأساس الأول

الحـب

تدور لفظة الحب ـ بمختلف صيغها ـ على الصفاء والظهور واللزوم والثبات واللب، وأغلب هذه المعاني وارد على الصدق ـ كما سبق في تعريف الصداقة؛ بل إن معنى (حابه محابة وحبابا وادَّه وصادقه)[١].

ومن معاني المودة وهي إحدى درجات المحبة الصداقة[٢].

وبهذا نرى أن الحب هو لحمة الصداقة وسداها، وهو رابط الألفة بين قلبي الصديقين والجامع لهما، وباعث الإرادة لكل منهما على المبادرة للوفاء بحقوق الصداقة.

وهل يمكن تصور صداقة حقيقية بين صديقين

---

(١) المعجم الوسيط ـ مادة (حب).

(٢) المعجم الوسيط ـ مادة (ود).

يَفْرَك كل منهما صاحبه ويبغض قربه، وينفر من معاشرته، هذا ما لا يقبله العقل السوي، ولا يقع في الحياة الإنسانية.

وتتحقق أساسية الحب للصداقة في تمثل معانيه فيها، حيث تقوم هذه الصداقة على صفاء الود وثباته عند تقلب الأحوال، وظهورها على مهمات الإنسان الأخرى ونحو ذلك.

ومن خلال آثار الحب بين الصديقين من ميل قلوب بعضهما لبعض، وإيثار كل منهما لصديقه، وتوافق الصديقين في مراداتهما، وأمثال ذلك ممّا ذكره العلماء في بيان المحبة وأثرها في العلاقة بين المحبين[١].

وقد قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ في المدارج ـ في صدد تعريف المحبة ـ إن المحبة لا تحد بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء فحدها وجودها[٢].

---

(١) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، وقد ذكر من الأقوال عن المحبة أنها الميل الدائم بالقلب إلى المحبوب، وإيثار المحبوب على المصحوب، وموافقة الحبيب في المشهد والغيب، ومعانقة الطاعة ومباينة المخالفة (١١/٣٠).

(٢) انظر: مدارج السالكين (٩/٣).

وابن القيم في هذا القول يقصد أن الحب معنى من معاني القلوب التي لا يمكن إفهامها الخليَّ منها، من خلال العبارات، كحنان الآباء وعطف الأمهات وسعادة العبودية لله ونحوها.

ولكن مع ذلك فهناك شواهد وعلامات ظاهرة تدل على المحبة، وإن لم تكنها، وتدل بالتالي على هذا الأساس في بنية الصداقة، ومن أبرز علاماتها:

- الميل إلى الصديق معنىً وحساً، بحيث يجد قلبه ينجذب إليه ويتعاطف معه، كما ينجذب إلى سماع حديثه والأنس بمقابلته والنظر إليه، ويجد وحشةً لبعده، وفراغاً عند افتقاده، وحرارة شوق إليه تزداد كلما طال بعده، وتنجلي همومه بقربه، والجلوس معه والانفراد به.

- عدم نسيان الصديق والانشغال عنه بالأمور الأخرى، بل يبقى حضوره في قلبه حيّاً في غيبته، ولا يلهيه عنه ما يعرض له في ذلك المغيب.

- التجاوب مع الصديق، وتحقيق رغباته، وإيثارها على الرغبات الخاصة، ولينه بيد صديقه.

- حب ما يحبه الصديق وما له صلة وثيقة به؛ ولذا

قالوا: (صديق صديقي صديقي، وصديق عدوي عدوي).

- الغيرة للصديق عندما تنتهك حرمته، أو يستهان به، أو يستخف بأمره، حيث يستاء لذلك صديقه، ويغضب له ويقاومه ما استطاع.

- رعاية حقه في مغيبه كما في حضوره؛ بل أشد من ذلك؛ لأنه في حالة حضوره قد يكتفي به، لكن في حال الغيبة تتحدد المسؤولية على الصديق، ورعايته تكون بالذكر الحسن له والدفاع عنه ـ بالحق ـ وبالنيابة عنه فيما يمكن أن يفوته نتيجة غيبته.

- توخي الأسباب التي تباعد بين الصديقين، وتكون وسيلة للهجر وتغير القلوب، ومن ذلك النفور مما يبغضه الصديق، وتعويد النفس على حب ما يحبه من الأمور المزاجية ونحوها[1].

قيمة الحب عند المسلم وأثر ذلك في صداقته:

الحب المقصود بحديثنا هنا لا يتوجه إلى الحب

---

(١) انظر علامات المحبة بصورها العليا في: روضة المحبين لابن القيم، ص: ٢٥٩ وما بعدها.

الجبلي الاضطراري الذي ينساق إليه الإنسان؛ بل والحيوانات الأخرى بالغريزة، كحب الأم لولدها، والولد لأمه.

وإنما يتجه إلى الحب الاختياري الذي يكتسبه الإنسان وينمو بسببه، أو يضمحل، مع أن له أساساً فطرياً في الإنسان، فهل للمسلم أن يهب حبه لصديقه، وإذا كان له ذلك فهل يفرده بذلك الحب، أو أن له من الحب نصيباً محدوداً، وإذا كان الثاني فما نسبة هذا النصيب إلى أصل الحب والأنصبة الأخرى؟

إن الحب في الإسلام مقام جليل ـ وهو أعلى قدراً بدرجات عظيمة من الحب البشري المقطوع من أصله الإلهي ـ الحب الذي تعرض صوره المبتذلة التمثيلياتُ والمسلسلاتُ بين رجل وامرأة، أو شخص وصديقه.

إن الحب في الإسلام بصورته النقية أحد عنصري غاية الوجود الإنساني فوق هذه الأرض: العبودية لله ـ سبحانه وتعالى ـ؛ لأن العبودية تتمثل في عنصرين متكاملين هما: **الذل، والمحبة** في غايتهما، قال ابن تيمية في رسالة (**العبودية**): «العبادة المأمور بها تتضمن معنى الذل، ومعنى الحب، فهي تتضمن غاية الذل لله ـ تعالى ـ بغاية المحبة له، فمن خضع لإنسان مع بغضه له لا يكون

عابداً له، ولو أحب شيئاً ولم يخضع له لم يكن عابداً له، ولهذا لا يكفي أحدهما في عبادة الله ـ تعالى ـ؛ بل يجب أن يكون الله أحب إلى العبد من كل شيء، وأن يكون أعظم عنده من كل شيء؛ بل لا يستحق المحبة والخضوع التام إلا الله وكل ما أحب لغير الله فمحبته فاسدة، وما عُظِّم بغير أمر الله فتعظيمه باطل»[١].

ومع أن هذين العنصرين الحب والذل متكاملان في حقيقة العبودية، لا تقوم إلا بهما معاً، إلا أن الحب يمثل العنصر الأول والأساس للعنصر الثاني؛ لأن الذل والخضوع المتمثل في الانقياد والطاعة أثر للحب، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾[٢].

وكما قال الشاعر:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه
هذا وربي في القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

---

(١) العبودية، ص: ٤٤.
(٢) آل عمران: ٣١.

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في (العبودية) موضحاً أثر عنصر المحبة في تحقيق الذل والخضوع: «ومعلوم أن الحب يدرك إرادة القلب فكلما قويت المحبة في القلب طلب القلب فعل المحبوبات، فإذا كانت المحبة تامة استلزمت إرادة جازمة في حصول المحبوبات، فإذا كان العبد قادراً عليها حصلها، وإن كان عاجزاً عنها ففعل ما يقدر عليه من ذلك، فإن له أجراً كأجر الفاعل»[١].

ولهذا بيّن الرسول ﷺ أن حلاوة الإيمان عند العبد المسلم لا تتحقق إلا بحبه لله في الحديث الشريف: **«ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه ممّا سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار»**[٢].

فحب الله هو الأساس، وما سواه ـ ممّا ذكره الحديث ـ إنما يعود إليه؛ سواء كان حب الرسول ﷺ أو حب أولياء الله، أو كراهة الكفر، فهو في هذه

---

(١) العبودية، ص: ١٠٦.

(٢) أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما، انظر: جامع الأصول (٢٣٧/١).

الكراهة يؤكد ثبوت حبه لله بكراهة الكفر، كأنه يثبت الشيء بنفي نقيضه، ولقد بيّن المولى ـ سبحانه ـ في كتابه أن حقيقة معالجة القلب البشري للحب الحقيقي المؤثر في حياته يقع بين خيارين:

- فإمّا حب الله الذي تتبعه المحبوبات كلها بعد ذلك.

- وإمّا حب ما سوى الله ـ كائناً ما كان.

والإنسان دائر بينهما منته لأحدهما، يقول سبحانه: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[1].

لهذا اتجه عباد الله الفطناء إلى التوجه لله بمحبتهم وشغل نفوسهم بها، وتكييف حياتهم على ضوء مقتضاها، واتجهوا إليه ـ سبحانه ـ طالبين منه أن يزيدهم حبّاً وقرباً. أخرج الترمذي عن أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كان من دعاء داوود**

(١) التوبة: ٢٤.

يقول: اللهم إني أسألك حبك، وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني حبك، اللهم اجعل حبك أحب إليّ من نفسي ومالي وأهلي ومن الماء البارد»[1].

وعلى ما سبق: فحب الله ـ سبحانه وتعالى ـ واجب على العباد، وإيثار محبته على ما سواه واجب، وكذلك حب رسوله ﷺ وحب شرعه، وإذا انتهينا إلى هذا فقد آن لنا أن نعرف الحب فيما دون ذلك، وعلاقته بتلك المحبة التي توجه بها العبد المسلم لربه، والمحبّة ـ حسب تصنيف العلماء ـ لها مراتب كثيرة كل مرتبة تعبّر عن حالة من حالات القلب من حيث قدر الحب فيه، وتمكنه منه تبدأ بالعلاقة وهي: تعلق قلب المحب بالمحبوب.

فالصبابة التي ينصب فيها القلب إلى المحبوب بحيث لا يملكه صاحبه ويسمّى المحب في هذه المرتبة صبّاً.

وبعدها حب الغرام، وهو: الملازم للقلب ملازمة الغريم.

ثم الوداد وهو صفو المحبة وخالصها.

---

(١) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، وقد أخرجه الحاكم أيضاً. انظر: جامع الأصول (٤/٣٣١).

ثم العشق وهو الحب المفرط الذي يخاف منه على العاشق[١].

وآخر مراتبه التتيم، وهو: التعبد والتذلل، وحينما يُتيِّم الحب إنساناً يذلله لمحبوبه حتى يكون عبداً خاضعاً له، ولهذا فإن معنى (تيم الله) عند العرب (عبدالله).

والمتيم فضلاً عن عبوديته لمحبوبه فهو مفرد له بهذه العبودية؛ لأن لفظة التتيم تدل على الانفراد[٢].

وهذه المرتبة من الحب لا تكون إلا لله وحده، فهو المستحق وحده أن يفرد بالخضوع والطاعة والعبادة[٣].

---

(١) هذا الحب ـ حب العشق ـ لا يوصف به الله، ولا العبد في محبة ربه، لأنه لا إفراط في محبة العبد لربه مهما بلغت، فإن ذات المحبوب وجماله أعظم من ذلك الحب مهما سما ولكنه يقع من الإنسان لإنسان آخر إما لكماله الخُلُقي أو لجماله الخَلقي، وقد أفرط فيه أناس حتى ذهبت عقولهم وفسدت حياتهم، كالعجلاني الجاهلي، وعروة بن حزام، ومجنون ليلى، وغيرهم. انظر تراجمهم في: الشعر والشعراء لابن قتيبة.

(٢) قال ابن القيم: (وبينه ـ أي التتيم ـ وبين اليتم الذي هو الانفراد تلاق في الاشتقاق). مدارج السالكين (٢٩/٣).

(٣) انظر: مراتب المحبة في العبودية لابن تيمية، ص: ٤٤. وللتوسع انظر هذه المراتب في: فقه اللغة للثعالبي، ص: ١٧٠ حيث جعلها عشراً.

فإذا ما ربطنا بين وجوب محبة العبد لربه، وأن درجة هذه المحبة أعلى درجات الحب، وأن هذه الدرجة تقضي على المتحقق بها إفراد الله بها، وخضوعه له خضوعاً تاماً تبيّن لنا أن محبة سوى الله لا بد أن تكون أدنى درجة من محبته ـ تبارك وتعالى ـ، وأن تنشأ هذه المحبة وفق مراد الله لتكون خضوعاً له؛ تحقيقاً لصدق محبة الله.

وأي تجاوز لهذا فإنه يعد خدشاً في عنصر العبودية الأعظم وهو الحب، ويكون هذا التجاوز:

* بأن تعلو محبة الإنسان لما سوى الله على محبته لله، أو تكون مساوية لها، فالأولى هي التي ذكرتها الآية الكريمة التي سبقت قبل قليل: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾... والثانية: كما في قوله سبحانه عن المشركين: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[1].

* أو تكون محبة لمراده، خارجة عن أمره، وهي التي نفاها الله عن المؤمنين في قوله سبحانه: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ

(١) البقرة: ١٦٥.

وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ...﴾[1]. وإذا انتفت هاتان المحبتان من قلب المسلم لم يبق إلا محبة الله، والمحبة الخاضعة لأمره.

وقد بيّن ـ سبحانه ـ في شرعه مواقع هذه المحبة وقيمتها في الدين، فأمّا قيمتها في الدين فهي تابعة لمحبة الله ـ سبحانه وتعالى ـ ويكون حكمها بحسب موقعها.

وأول موقع من مواقعها هو حب المسلم للرسول ﷺ الذي أنقذه الله به من الظلمات إلى النور، والواسطة العظمى بين الله وبينه في تبليغ مراد الله له، ولهذا اقترن ذكر الرسول ﷺ بذكره ـ سبحانه ـ في مقام طلب الحب في الحديث المتقدم: «**أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما**».

ومن حب الله ورسوله حب شريعته ودينه الذي جاء به كتابه الكريم، وبيّنه رسوله العظيم محمد ﷺ.

ومن مواقعها الإنسان المُحِب لله الطالب مرضاته،

---

(١) المجادلة: ٢٢.

وهذا ما بيّنه الحديث السالف في قوله ﷺ بعد ذكر محبة الله ورسوله، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله.

فمحبة إنسان في الله تكون على أساس قربه من الله، وقرب الله يتحقق بالإسلام له، والعمل بطاعته، ولمّا كان هذا القرب يزيد بقدر زيادة العبد في طاعته لربه، كانت المحبة مطردة في زيادتها ونقصها مع هذا القرب والطاعات، فإذا ابتعد هذا الإنسان بنفسه عن ربه باقتراف ما يقضي بذلك حل مقابل تلك المحبة له في نفس المؤمن، أي حل البغض له بسبب هذا البعد، وفي هذه الحالة يجتمع له حب لطاعته وبغض لمعصيته، فإذا ما قطع صلته بالله وآثر بقربه بعداً وبطاعته معصيةً وكفراً؛ بانسلاخه من الإسلام، تحولت تلك المحبة إلى بغض وكراهة لهذا الشخص بسبب كفره، ولا يمكن أن يبقى من تلك المحبة في قلب المؤمن شيء.

لهذا قال العلماء عند قوله ﷺ: «**وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله**» يقاس على المحبة ضدها، فيقال: وأن يبغض المرء لا يبغضه إلا لله؛ بل جاء ذلك صريحاً في رواية النسائي للحديث بلفظ «**وأن يحب في الله ويبغض في الله**»[1].

---

(١) انظر: جامع الأصول (٢٣٨/١)، والمختار من كنوز السنة، ص: ٣٤٧.

ونطلّ من أوج هذه النقطة على واقع حياتنا لنرى فيه خللاً في هذه الزاوية ـ تسمع وتقرأ لمسلم ـ عالم أو مفكر ـ يتحدث عن غير المسلمين من: نصارى، ويهود، وملاحدة واصفاً علاقته بهم بالصداقة؛ فهذا صديقه مستشرق يهودي، وذاك صديقه ملحد شيوعي، وكما سلف فإن الأساس الأول والأكبر للصداقة هو الحب، والحب منفي بين المسلم والكافر[١]. فهل هي صداقة تفتقد هذا الأساس، إن كان ذلك فليست العلاقة صداقة وإن سمّوها بها، فهي علاقة زمالة في دراسة، أو رفقة في سفر، أو جوار في سكن، أو معرفة في ظرف اقتضاها؟... إلخ.

والأولى تسميتها باسمها الذي اقتضاها فلو وصفه بأنه من معارفه، لكان أقرب إلى الصواب، لأن المعارف للشخص هم الناس الذين يعرفهم ويعرفونه[٢].

وافتقادها هذا الأساس هو: ما يحمل عليه حال

---

(١) الحب هنا: هو الحب الشرعي ـ كما أسلفناه ـ ومن ثم يخرج الحب الجبلي الاضطراري كحب الابن لأمه، وأمر آخر هو: أن انتفاء الحب والود بين المسلم والكافر لا يعني انتفاء علاقة التعامل التي يلتزم فيها المسلم بأخلاق الإسلام عدلاً وأمانةً ووفاءً وإحساناً.

(٢) انظر: المعجم الوسيط (٦٢/٢) وبداية الهداية للغزالي، ص: ١٣٠.

أولئك الذين اعتادوا وصف علاقة غير المسلمين بهم بالصداقة؛ سواء كانت علاقة فكرية كما بين العلماء، أو تجارية بين رجال الأعمال، أو سياسية في نطاق العلاقات الدولية بين رجال السياسة، أو غير ذلك من العلائق القائمة على تبادل المنافع التي يتولد من خلالها ثقة بين المسلم وغير المسلم في حركة التعامل النفعي، فيوصف نتيجة هذه الثقة بالصديق؛ لأن الأصل في المسلم أن لا يهب حبه وولاءه لسوى الله ورسوله والمؤمنين، فكان المظنون أن إطلاق المسلم الصداقة على علاقته بغير المسلم محصور بتلك الثقة التبادلية فحسب... أو أنها صداقة ترتكز على هذا الأساس؛ على الحب، فإن كان الأمر كذلك فلا شك أنه عنوان خلل في الإيمان وخدش لصحة عبوديته لله، وهذا ما يقع فيه بعض المسلمين نتيجة ضعف إيمانهم وجهلهم بهذا الأمر وهيمنة الأوضاع الحياتية الضالة على سلوكهم مما جعلهم يؤثرون مسايرتها على مجاهدتها، كما قال الناظم:

ولكنما العقل المعيشي عندنا

موالاة أهل الشرك من كل كافر

ولقد حذّر الرسول ﷺ أمّته من هذا الاستخذاء

بمصادقة غير المؤمنين في قوله ﷺ: «**لا تصاحب إلا مؤمناً**»[١].

ولا مراء أن هذه الصداقة ستجر إلى أمور عظيمة أخرى ينساق إليها المسلم مجاراة لصديقه الكافر!! وهي محرمة في الدين، وقد تكون كفراً وشركاً والعياذ بالله.

وإذا عرفنا أن حب المؤمن امرءاً لإيمانه من دلائل الإيمان في الثانية من الثلاث اللائي يجد بهن المرء حلاوة الإيمان، ومن قوله ﷺ: «**لا تؤمنوا حتى تحابوا**»[٢]. وأن على هذا الحب يقيم المسلم صداقته لمن ألفته روحه من إخوانه المؤمنين، فهل ينتهي الأمر هنا؟

الجواب: أن الأمر لا ينتهي عند هذا الحد بأنه تجعل محبوبك مسلماً؛ بل إن المحبة فيما تتمثل به من مظاهر ـ ممّا أسلفناه من آثارها وعلاماتها من نصرة المحبوب وإيثار مراداته والتعاطف معه والأنس بحديثه، ينبغي أن تجري وفق أمر الله في آحادها، فلا يعينه على ظلم ولا يؤثر مراده إذا عارض مراد الله، ولا يأنس بحديثه إذا قال هجراً... إلخ.

---

(١) سبق تخريج هذا الحديث في ص: ٣٣ من هذا البحث.

(٢) رواه مسلم والترمذي وأحمد. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٦٢٦/٣).

فالمحبة كما تقع على الأشخاص تقع على الأفعال، وإلى ذلك نبّه الحديث الشريف في الثالثة من الثلاث اللائي يجد بهن المرء حلاوة الإيمان، وهي أن يكره أن يعود إلى الكفر، كما يكره أن يقذف في النار.

وكما أن حالة الكفر تبلغ عند المؤمن غاية الكره، فإن البدع والمعاصي مكروهة مبغضة بحسب كبرها وبشاعتها، وبالمقابل فإن حالة الإيمان والاستسلام لله تستوجب من المسلم حبّاً لصاحبها والطاعات والآداب الشرعية محبوبة من المؤمن، ومن هنا:

فإن الصداقة التي يتجاوز فيها الحب بين الصديقين حده الطبيعي شرعاً إلى حالة فناء من أحد الصديقين في حب صديقه، حتى يؤثره على أمر الله، ويسقط بسببه حقوق الروابط الأخرى، كحقوق الوالدين أو الزوجة ونحوها، هذه الصداقة تنقصها الصبغة الإسلامية، لفساد أساس الحب فيها بعدم انضباطها بضوابط الشرع.

ومثل ذلك: أن يتحول الحب بين الصديقين إلى عشق تتركز فتنته ـ غالباً ـ على الشكل والصورة، أو على انجذاب مجهول السبب، لكنه غير متقيد بالحب لله، وفيه كما قال قائلهم:

وما العشق عن حسن ولا عن ملاحة
ولكنه شيء به النفس تكلف

والعشق ـ كما سلف ـ هو الحب المفرط؛ سواء كان المعشوق من النسوان أو المردان.

ورغم سهولة بداياته إلا أن نهاياته حسب ما يشهد به تاريخ الغزل والعاشقين انتكاس للعاشق، وخروج عن حدود الشرع كما قال جميل بن معمر:

الحب أول ما يكون لحاجة
يأتي به وتسوقه الأقدار
حتى إذا خاض الفتى لجج الهوى
جاءت أمور لا تطاق كبار[1]

ولهذا كان بعض السلف يستعيذ بالله من العشق، فهو إفراط في الحب في أوله، وهو: تتيم وعبودية للمعشوق، في نهاياته تضيع معها عبودية العبد لله أو تبهت، قال المجنون ـ قيس بن الملوح ـ:

أراني إذا صليت يممت نحوها
بوجهي وإن كان المصلى ورائيا

(١) شرح ديوان جميل بثينة، ص: ٥٣.

وقال آخر عند موته مخاطباً معشوقه الذي هام به:

رضـــاك أشـــهـــى إلـــى فـــؤادي
مـن رحـمـة الـخـالـق الـجـلـيـل[1]

فينبغي أن يحذر الصديقان ـ ذكوراً وإناثاً ـ من أن يتسلل الشيطان إلى حبهما الإيماني الطاهر، فيحوله ـ من خلال إثارة خطرات وأحاسيس في النفس البشرية؛ تكون مُغَلَّفة في أول الأمر ثم ينكشف قناعها ـ إلى عشق يفسد الصداقة ويدمر حياة المسلم، نسأل الله السلامة.

وهكذا... نجد أن الحب في الإسلام أصل مكين تقوم عليه الحياة الإنسانية، وترتبط به بخالقها، ثم ينشر ظلاله على العلاقة بين العباد المرتبطين به بربهم، حيث يمثل الحب أساساً في العلاقة بين المسلمين عموماً وبين المتصادقين خصوصاً، مرتبطاً بالحب الأكبر حب العبد لله وتابعاً له، ثم يحوط هذا الحبُّ النقي الطاهر الحركة التبادلية بين الأحباب المتصادقين في جزئياتها لتبقى حركة قائمة على الحب، دافعة إلى المزيد منه، نافية الزغل الدخيل عليه.

❋ ❋ ❋

(١) انظر: الجواب الكافي لابن القيم، ص: ١٤٨.

الأساس الثاني

التعارف والفهم

المقصود بالتعارف هنا: معرفة كل من الصديقين لصديقه معرفة شاملة اجتماعياً وخلقياً ونفسياً، ونحو ذلك حتى يكون على فهم كامل أو قريب من الكمال لطبيعة هذا الصديق، أو على قول بعضهم: أن يكون كنفسك[1].

وقد قدمت لفظة التعارف لهذا المعنى على لفظة المعرفة أو الفهم بين الصديقين ارتباطاً بحديث شريف ورد في هذا المقام بهذا اللفظ، جاعلاً هذه المعرفة أساساً لقيام الألفة بين الصديقين.

---

(١) وعليه فلا ينحصر معنى التعارف هنا بالمعنى الشائع، أو ما تدل عليه الآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ﴾ فهو هنا: التعارف الذي يحفظ به النسب ويوصل الرحم، ويقوم التوارث كما ذكر المفسرون.

روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**الأرواح جنود مجندة، فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف**». رواه مسلم ورواه البخاري تعليقاً عن عائشة رضي الله عنها[١].

فالتعارف هو أول ما يجري بين الأرواح حينما تتلاقى، وعلى أساسه تتحدد لكل روح طبيعة الروح المقابلة، فإذا وجدت الروحان تشابهاً وتقارباً في الطبائع كان ذلك أساساً للائتلاف، لأنه بدء الفهم من قبل كل روح للروح المقابلة، قال ابن حجر: «ومعنى تقابلها أن الأجساد التي فيها الأرواح إذا التقت في الدنيا ائتلفت أو اختلفت على حسب ما خلقت عليه الأرواح في الدنيا بالتعارف»[٢].

وذكر ابن القيم ـ رحمه الله في كتاب الروح ـ حديثاً عن سالم بن عبدالله عن أبيه: أن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ لقي علي بن أبي طالب فقال: يا أبا الحسن، ربما شهدت وغبنا وشهدنا وغبت، ثلاث أسألك عنهن عندك منهن علم؟ فقال علي: وما هن؟ قال عمر: الرجل يحب الرجل ولم

---

(١) انظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول (٦/٥٥٩).

(٢) فتح الباري (٦/٣٦٨).

ير منه خيراً، والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شراً، فقال علي: نعم سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**الأرواح جنود مجندة تلتقي في الهواء فتشأم**[١]. **فما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف...**» إلى آخر الأثر[٢].

والهدف من إيراد هذه الأحاديث هو: التأكيد على أن معرفة الإنسان بطبيعة من يصادقه أمر أساسي في هذه العلاقة، وبيان أن المعرفة المطلوبة لا تقف عند الظواهر السلوكية التي يعيش بها مع الناس، أو تاريخه ووضعه الاجتماعي، إنها أدق وأعمق إنها معرفة روحية لحياة الصديق الروحية تتشامُّ فيها الروحان، أو يندمج فيها الشخصان معاً، حتى يفهم كل منهما عواطف الآخر وأمزجته ومسارب فكره ونظراته للحياة وللناس، ورغباته، وسائر خباياه النفسية، والفكرية ـ ولقد يبلغ بعض الأصدقاء في هذا الفهم لأصدقائهم درجة

---

(١) كذا في الكتاب ولا أدري لها وجهاً، فلعلها تَشَامُّ، وهو التفاعل من المشامَّة، وهي: الدنو والقرب، أو لعلها من الشم وهو إدراك الرائحة أو الاختبار.
انظر: الصحاح والمعجم ـ مادة (شمم).

(٢) لم يحكم عليه ابن القيم، وقد ذكر أنه نقله عن ابن مندة في كتابه «النفس والروح». انظر: الروح، ص: ٣٠.

يستطيعون فيها أن يحددوا ـ بما يصل لديهم إلى اليقين ـ الموقف الذي سيتخذه صديقهم من أمر ما، والرأي الذي سيراه في قضية ما، ونحو ذلك.

وبعد هذا، أين موقع هذا الأساس من رابطة الصداقة؟ هل هو مرحلة تمهيدية تتم قبل عقد الصداقة وتنتهي بقيام هذه الرابطة، أو هو قائم في حال الصداقة؟ الذي أراه أن الفهم والمعرفة بين الأصدقاء كالشرط في الصلاة ـ طهارة أو ستر عورة ونحوها ـ يبدأ قبلها ويستمر معها.

فالعاقل لا يربط نفسه بمجهول لديه كالفراش المقتحم في النار، بل يسأل عمن أزمع صداقته، ويختبره ليعرف مدى موافقته له من عدمها.

ولقد وجّه الرسول ﷺ أمّته إلى هذا المنهج حينما قال ﷺ: **«المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل»**[1].

والنظر المطلوب هنا هدفه: التحقق من سلامة دين هذا الخليل، والدين اعتقادات باطنة، وأقوال وأعمال ظاهرة، فهو معرفة بالباطن والظاهر، وعلى هذا

(١) سبق ذكر هذا الحديث.

ما جاء من أحاديث، وحكم، وأشعار، توجه لاختيار الصديق الصالح التقي، وتجنب السيء الرديء، أو قطع حبال علاقته، لأن هذا الاختيار أو التجنب يُبنى على معرفة بهؤلاء يقضي بهذه التصرفات.

وبعدها تقوم الصداقة بين المتآلفين بناء على تعارفهما، ينبغي أن تستمر عملية التفهم من كل منهما لصاحبه تمكناً مما فهمه قبل ذلك ووعياً بمستجدات أحواله النفسية وغيرها لأن الألفة تجف بالغفلة منهما، وتبدأ القلوب تقسو على بعضها، ومن ثم يبدأ ربيع هذه الصداقة يُصوَّح وتجدب أرضه.

ولهذا نشاهد في الواقع أن الصديقين حينما يكونان قريبين من بعضهما، متداخلين في أمورهما، يصعب على العدو الدخول بينهما، من إثارة سوء الظن من كل منهما بالآخر، وتنفير القلب منه، والارتباط بعلاقات أخرى على حساب تلك الصداقة، ممّا يكون أقل صعوبة إذا كانا متباعدين قليلي التواصل.

هناك صديقان بلغت صداقتهما أوجاً يغبطان عليه، وكان من أثر هذه الصداقة أن قام عليها ارتباطات أسرية وأوضاع اجتماعية عظيمة، وعاشا فترة طويلة متضامنين يفهم كل منهما الآخر، ويدلّون على بعضهما ادلالاً تاماً. وشاء الله أن ينتقل أحدهما إلى بلد آخر، أصبح له

فيه معارف كثيرون، حاول بعضهم التسلق في المعرفة ليتمكن من خلته وصداقته، ولكنه رأى أن صداقة الصديق القديم عقبة في طريقه، فبدأ يهدم تلك الصداقة بنقد شخصية صديق صاحبه، والإشارة إلى عدم استحقاقه إخلاص هذا الصديق، بالافتراء ـ أحياناً ـ حتى بدأت الخواطر السيئة تؤثر في هذا المسكين، ويتصل بصديقه القديم، ويثير معه بعض القضايا مستفهماً أو مستنكراً، والصديق يتساءل بدهشة: (ألست تعرفني، ألا تفهمني؟)، أأنا أفعل هذا، أأنا أنوي مثل هذا؟

ولكن الأمر زاد والقلوب قست والرؤية غشاها ما غشاها، حتى أذن الله فكشف كيد ذلك المفسد فقرر الصديقان أن يعود الصديق المنتقل فيكونا معاً متقيين إتاحة الفرصة للمفسدين[1].

❋ ❋ ❋

(١) للشخصية دورها في هذا المجال بلا ريب، فرغم أن صاحب الكيد عمل مع الصديق الآخر مثلما عمل مع صديقه، إلا أنه كان يرفض تلك التدخلات ويقاومها.

الأساس الثالث

الألفة وعدم الكلفة

الألفة في اللغة: هي الاجتماع والالتئام والتوافق المقترن بأنس ومحبة، ويقابلها الاختلاف، وهو: الافتراق المقترن بشيء من التنافر[١]. ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾[٢].

ومن طبيعة الألفة: وجود تشاكل وتمازج بين الإلفين، تذوب فيه حواجز التغاير المقتضية للاختلاف الذي يتولد منه تكلف من قبل كل من المختلفين تجاه الآخر. ومن هنا جعلنا الكلفة مقابلة للألفة بصفتها أساساً للصداقة.

ولعل حديث الأرواح يشير إلى ذلك في روايته التي وردت عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ فقد روت

---

(١) انظر تعريف الكلمة في القواميس.

(٢) آل عمران: ١٣.

عمرة بنت عبدالرحمن أن امرأة مزّاحة من أهالي مكة قدمت إلى المدينة فنزلت على نظيرة لها، فقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ: صدق حِبي رسول الله ﷺ سمعته يقول: **«الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف»**[1].

فقد جعلت عائشة التشاكل بين المرأتين في طبيعتيهما هو التعارف المقتضي للائتلاف، كما أن الحديث لم يجعل مقابل التعارف المؤدي للألفة الجهل، وإنما جعل المقابل هو التناكر المقتضي للاختلاف والذي يقوم عليه التكلف في العلاقة.

والذي أريده هنا: هو أن الألفة ليست اجتماعاً فحسب، بل هي مع ذلك توحد تذوب فيه دواعي التغاير، هذه الدواعي يجمعها اسم الكلفة والتكلف، ولهذا قالوا: إن (الألْف) ـ العدد ـ سمي بذلك لأنه جمع الأعداد المتفرقة آحاداً وعشرات ومئات، وألَّف بينها، حتى أصبحت شيئاً واحداً[2].

أما الكلفة: فهي المشقة، والتكلف اسم لما يفعل

---

(١) سبق متن الحديث، وانظر: جامع الأصول في أحاديث الرسول (٦/٥٦٠).

(٢) انظر: لسان العرب ـ مادة (ألف).

بمشقة، أو تصنع، أو ما يترك تحرجاً ومداراة[١].

والألفة: مطلوبة في الدين، بل هي أثر من آثار رسوخ حقيقة الإيمان في قلوب العباد، حيث تتحول به العداوة والشحناء حبّاً وتآلفاً، ولهذا امتن الله على عباده المؤمنين بذلك في قوله سبحانه: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾[٢].

وبيّن ﷺ أن تلك صفة المؤمن، وأنها علامة خير فيه، فقد روى أحمد في مسنده عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ﷺ قال: **«المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف»**[٣].

وقد نفى الله ـ سبحانه ـ التكلف عن رسوله محمد ﷺ في آخر سورة (صٓ) حيث أمر نبيّه أن يخبر المشركين بذلك: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾[٤]. ولم يكن ﷺ متكلفاً لا قبل البعثة

---

(١) انظر: القواميس والمفردات في غريب القرآن، ص: ٤٣٩.
(٢) آل عمران: ١٠٣.
(٣) رواه البزار ـ أيضاً ـ قال في مجمع الزوائد: رجال أحمد رجال الصحيح. انظر: المجمع (٨٧/٨).
(٤) صٓ: ٨٦.

ولا بعدها، فقد كان ﷺ على الفطرة السوية والتكلف تصنع على غير منهاجها.

الألفة والصداقة: الألفة صفة إيمانية بين المؤمنين عامة ـ كما سلف ـ والتكلف ـ في عمومه ـ ليس من الدين، وقد ذكر العلماء أن التكلف هو منازلة الإنسان من فوقه، وتعاطيه ما لا ينال، وقوله ما لا يعلم[١]. وهذه ـ لا شك ـ من أبرز مظاهره، وله مظاهر أخرى كثيرة.

وقد أخرج أحمد في مسنده عن سلمان ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل عليه رجل فدعا له بما كان عنده، فقال: «لولا أن رسول الله ﷺ نهانا، أو لولا أنَّا نُهينا أن يتكلف أحدنا لصاحبه لتكلفنا لك»[٢].

وفي الصداقة تمثل الألفة وانتفاء التكلف أساساً لقيامها بقدر أكبر من المشروع بين عموم المؤمنين.

وقد يقول قائل: ألا يكون ذهاب الكلفة أثراً من آثار الصداقة حتى قيل: «رفعت الصداقة الكلفة بينهم»[٣]. وإذن فكيف تكون أساساً. والحقيقة أن الأمر

---

(١) انظر: روح المعاني (٢٣/٢٣٠) وقد أورده إلى البيهقي بصفته حديثاً نبوياً.

(٢) مسند أحمد (٤/٤٤١).

(٣) المعجم الوسيط (٢/٨٠١).

هنا أيسر من تصور التناقض بين الاعتبارين، ذلك أن الألفة والتكلف كذلك في حقيقتهما من القوى النفسية التي تتولد بسبب وتزيد وتنقص، وتظهر لها آثار عملية على الشخص المتصف بها، فتكون أساساً لأمر يقوم عليها وعلى غيرها، ثم تزداد تحققاً وقوة بهذا الأمر، والأمر هنا في الألفة وعدم التكلف هو الصداقة.

ومثل ذلك: التقوى تتحقق بالإيمان، وذكر الله وتلاوة كتابه، ومجالسة الصالحين وعمل الطاعات، فإذا تحقق بها الشخص أورثته ذكر الله وتلاوة كتابه، وعمل الخير، وتوقي المساخط، فكانت هذه من آثارها.

ولعلنا من هذا عرفنا أن التكلف في حقيقته أمر نفسي، يبرز في صور عملية، وقد قال الشاعر:

إذا المرء لا يرعاك إلا تكلفاً
فدعه ولا تكثر عليه التأسفا
إذا لم يكن صفو الوداد طبيعة
فلا خير في ودّ يجيء تكلفا

ويتحقق هذا الأساس نفسياً بين الصديقين، بأن يزول الشعور بالحرج من كل منهما فيما بينهما، فليس من الألفة ـ مثلاً ـ أن يخجل ويحرج من طلب حاجة من صديقه يستطيع تحقيقها هذا الصديق.

وليس منها بقاء الصديق محتاراً في أمر من أمور صديقه رهبة أو حرجاً من استيضاحه، وأمّا عملياً فكل عمل من الأعمال الجارية بين الصديقين، لا بد أن يطبع عليها خاتم هذا الأساس، فتجري في نطاق الألفة، بعيداً عن التكلف والمجاملة والتصنع، سواء كان ذلك في تبادل الأحاديث والأسرار، أو في التخاطب واعتبار المقام، أو في الهيئة والأحوال الشخصية، كأمور اللباس والمجلس والجلسة ونحوها، أو فيما يقدمه لصديقه طعاماً أو مالاً أو غيره، أو في رد معروف الصديق... إلخ.

فإذا رأيت متصاحبين يتجشم كل منهما مع صاحبه أنواع المجاملات، ويحسبان لبعضهما الحسابات، ويصعدان أمورهما الخلافية كما يصعدانها مع الآخرين، أو قريباً من ذلك فاعلم أن هذه المصاحبة لم ترق إلى مستوى الصداقة، ولن تصبح صداقة ما دام هذا الأساس مفقوداً.

هذا تحديد للأساس بصفة عامة، مما يعي ضرورته للصداقة من اتجه إليها واعياً بحقيقتها وأثرها مسلماً أو غيره.

ويعنينا بعد هذا أن نرى الحد الشرعي لهذا الأساس فيما بين الصديقين. إن ممّا هو شائع في بعض الأوساط الاجتماعية، خاصة ضعيفة الالتزام بضوابط

السلوك الشرعي أن مقتضى هذا الأساس هو التبذل[١] المتناهي بين الأصدقاء بحيث يتساقطون الآداب ـ حسب العبارة الشعبية ـ حتى لا يتورع الصديق عن الإسفاف في مخاطبة صديقه بالألفاظ الساقطة، أو التحدث بأفعاله المنكرة أو أسراره الزوجية الخاصة، أو عدم مبالاته تجاه صديقه بكشف العورة أمامه، أو الدخول على بيته دون استئذان، أو التبسط في الحديث مع زوجة صديقه مباشرة أو بالهاتف، ومثله المرأة مع زوج صديقتها، ونحو ذلك من الأمور التي يرى البعض دخولها في الألفة التي قامت عليها الصداقة بينهم، وإزاء ذلك ينبغي أن نعي أموراً:

أولها: أن جميع شؤون المسلم ينبغي أن تجري وفق ضوابط الشريعة، لا حسب العرف الاجتماعي، أو الأمزجة الشخصية، ومن هذه الشؤون الصداقة وأسسها، كما أسلفنا ذلك في الكلام عن الحب.

ثانيهما: أن الصداقة علاقة تقوم عليها حقوق بين الصديقين، لكنها لا تصل إلى درجة إهدار حقوق أخرى على أحد الصديقين لغيره، سواء كانت حقوقاً لله، أو لزوجته، أو للآخرين.

---

(١) قال في معجم الوسيط (٤٥/١): تبذل ترك التصون والتحرز.

فمن حق الزوجة مثلاً: أن يبقى سرها في لقائها مع زوجها مطوياً عن الآخرين، ولم يستثن من ذلك صديق أو غيره[١].

ومن أدب البيوت الاستئذان والسلام عند الدخول إليها، ويشمل التزام هذا الأدب الأصدقاء حينما يأتون بيوت أصدقائهم[٢].

ثالثهما: أن للمؤمن في سائر أحواله ـ مع صديقه أو عائلته أو الآخرين سمتاً مميزاً في فكره ومنطقه وهيئته وسلوكه لا ينزل عن مداره، ولا يذوب مع الحياة إذا مجنت وأَسَفَّت كالإمعات الذين يتقلبون مع أوضاع الحياة سفلاً وعلوّاً، تَقَلُّب أشلاء السفن بين أمواج المحيط[٣].

---

(١) وبالمقابل من حق الزوج حفظ زوجته لسره، روى مسلم عن أبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها**». صحيح مسلم (٢/١٠٦١).

(٢) قال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٢٧ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ٢٨﴾ النور: ٢٧، ٢٨.

(٣) قال ﷺ فيما رواه حذيفة وابن مسعود: «**لا يكن أحدكم إمعة**=

فإذا ما وردت الوساوس الشيطانية، والخواطر الرديئة على نفوس الضعفاء فوجدت ترحيباً واستخذاءً أمامها، فإن المؤمن التقي يقاومها ويطردها من مخيلته لينشغل بما هو أسمى وأجدى له في حياته ودينه.

ولو ألحت عليه هذه الخواطر فإنه يربأ بلسانه أن يتلوث بها ويلوكها بين الآخرين ولو كانوا أصدقاءه، فمن سمة المسلم عدم اللغو، وترك الهجر من القول، كما قال سبحانه عنهم: ﴿وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا﴾[١].

وقال ﷺ: «**ليس المؤمن بطعان ولا فاحش ولا بذيء**»[٢]. وقال أيضاً: «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو ليصمت**»[٣]. وأين هذا الأدب الرفيع من أصدقاء يتبادلون التحية باللعنات، ويتبارون في إمتاع

= **يقول أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت، وإن أساؤوا أسأت، ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا، وإن أساؤوا لا تظلموا**». حديث حسن غريب، رواه الترمذي. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٦٩٩/١١).

(١) الفرقان: ٧٢.

(٢) رواه عبدالله بن مسعود، والحديث صحيح، رواه أحمد وابن حبان والبخاري في الأدب المفرد والحاكم. انظر: جامع الأصول (٧٥٧/١٠).

(٣) انظر: البخاري كتاب الأدب (٧٩/٧).

بعضهم بالمسف من القصص وساقط الكلمات.

وسمت المؤمن في هيئته لا تخرمه صداقة الصديق، وإن تبسط معه بما لا يفعله مع عامة الناس، فالعورة لا يليق بالمسلم أن يتبذل بكشفها حتى أمام صديقه، ولا أن يضطجع على وجهه، فقد روى أحمد في مسنده أن الرسول ﷺ قال: **«إن هذه ضجعة ما يحبها الله»**[1]. ولا أن يأكل متكئاً لما ورد من أحاديث في النهي عنه، كحديث أبي الدرداء ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ لرجل: **«لا تأكل متكئاً»**[2].

ولا أن يباشر غيره من الرجال ولو كان صديقه إلا بحائل، وكذلك المرأة، فقد ورد في النهي عن مباشرة الرجل الرجل والمرأة المرأة من دون حائل في السنة المطهرة[3].

فكل هذه الآداب الشرعية عامة للمسلم في كل أحواله، وليس في انفراده مع الصديق استثناء لشيء

---

(١) قال في مجمع الزوائد عنه في سنده محمد بن عمرو بن علقمة وهو حسن الحديث، وبقية رجاله رجال الصحيح (١٠١/٨).

(٢) كما رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله ثقات كما في مجمع الزوائد (٢٤/٥).

(٣) انظر: مجمع الزوائد (١٠٢/٨).

منها، ومثلها سائر الآداب العامة الواردة في الشرع.

ومن السمت العام في سلوك المسلم عدم السهر الطويل لغير حاجة شرعية ولو مع الصديق، والمبادرة إلى عمل البر ودعوة من حوله للمشاركة فيه، والعزوف عن مواطن الريبة وأماكن اللهو، واللغو، ونحو ذلك؛ فينبغي لكل من الصديقين أن يوطن نفسه في علاقته مع صديقه، ويقدّر الأمور بقدرها، ولا يتصور أن التزام صديقه المسلم، ومحافظته على سمته من التكلف، وعدم الألفة الهادم للصداقة، المباعد بينهما.

الصداقة بين الرجل والمرأة الأجنبية:

عرفنا أن مقتضى أساس الألفة لرابطة الصداقة التمازج بين الصديقين إلى درجة يزول معها التكلف عمّا يجري بينهما ممّا يتجاوز الحاجات الضرورية إلى الأمور الكمالية كلاماً وتصرفاً ممّا تكون غايته الأنس وإمتاع النفس بالجلوس مع صديقه وبحديثه، وكذلك التبسط بالإفضاء إليه بما يحجزه عن الآخرين من أسرار ونحوها.

في هذه الدائرة يتضح عدم إمكان قيام علاقة صداقة بين الرجل والمرأة الأجنبية عنه:

١ ـ لأن المحادثة بين الرجل والأجنبية عنه مقصورة

على الحاجة المشروعة، دون التجاوز في التبسط في الحديث فيما وراءها مما يجري بين الأصدقاء، هذا إذا افترضناه حديثاً عادياً مجرداً من توابع، فأمّا إذا كان سيتسلسل في الحلقات التي ذكرها الشاعر:

نظرة فابتسامة فسلام
فكلام فموعد فلقاء

فما هو أكبر من ذلك، فإنه أعظم خطراً، ولا يجوز الابتداء به مع المرأة أساساً، ولقد فهم الصحابي فضالة بن عمير بحسه الإسلامي بعد إسلامه مباشرة؛ إذ لم يكن قد عرف تعليمات الإسلام في العلاقات بين الرجل والمرأة بعد ـ فهم فضالة ـ عدم مشروعية ذلك في الإسلام.

روى ابن هشام في سيرته: أن فضالة همَّ يوم الفتح بقتل رسول الله ﷺ فلما دنا قال رسول الله ﷺ: **«يا فضالة بم كنت تحدث نفسك؟»** قال: «كنت أذكر الله»، فضحك النبي ﷺ ثم قال: **«استغفر الله»**، ثم وضع يده على صدره فسكن قلبه، فكان فضالة يقول: «والله ما رفع رسول الله يده عن صدري حتى ما من خلق الله شيء أحبّ إليّ منه»، قال

فضالة: «فرجعت إلى أهلي فمررت بامرأة كنت أتحدث إليها»، فقالت: «هلم إلى الحديث»، فقلت: «لا»، وانبعث فضالة يقول:

قال هلم إلى الحديث فقلت لا

يأبى عليك الله والإسلام

... إلخ الأبيات[١].

وفضلاً عن اقتصار الحديث على الحاجة، فإنه لا بد للمرأة أن تشد في صوتها، وأن لا تخضع به فيكون كحديثها مع زوجها رخماً أنثوياً، فعن ذلك نُهيت المؤمنات ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾[٢]. وقد روي عن بعض أمهات المؤمنين: «أنها كانت تضع يدها على فمها إذا كلمت أجنبياً تغير من صوتها بذلك خوفاً من أن يُسْمع رخيماً ليناً»[٣].

٢ ـ ولأن حديث المرأة مع الرجل الأجنبي عنها، لا بد أن يكون من وراء حجاب ساتر بينهما، حيث قال سبحانه في سورة الأحزاب: ﴿وَإِذَا

(١) انظر: سيرة ابن هشام (٣٧/٤).
(٢) الأحزاب: ٣٢.
(٣) روح المعاني (٥/٢٢).

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾[١].

والمتاع: «عام في جميع ما يمكن أن يطلب من المواعين، وسائر المرافق للدين والدنيا»[٢]. وفي هذا كما يقول الشوكاني: «أدب لكل مؤمن وتحذير له من أن يثق بنفسه في الخلوة مع من لا تحل له، والمكالمة من دون حجاب لمن تحرم عليه»[٣].

وكذلك ما ورد في القرآن والسنة من نصوص تنهى عن الدخول ـ للرجال الأجانب ـ على النساء، وتأمر بغض النظر من الرجل عن المرأة، ومن المرأة عن الرجل. ممّا لا يتفق مع الصداقة القائمة على الألفة وزوال الكلفة بينهما.

٣ ـ ولأن خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه حرام، لا تجوز للنصوص الكثيرة في ذلك، فقد روى ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: **«لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم»**. رواه البخاري ومسلم[٤].

---

(١) الأحزاب: ٥٣.
(٢) الجامع لأحكام القرآن (٢٢٧/٧).
(٣) فتح القدير (٢٩٨/٤).
(٤) انظر: جامع الأصول (٦٥٨/٦).

وأخرجا ـ أيضاً ـ والترمذي عن عقبة بن عامر: أن رسول الله ﷺ قال: «**إياكم والدخول على النساء**»، فقال رجل من الأنصار: «أفرأيت الحمو»، قال: «**الحمو الموت**»[١].

٤ ـ ولأن سفر المرأة لا يجوز بدون محرم، كما دلت على ذلك الأحاديث كحديث ابن عباس في البخاري ومسلم: «**لا تسافر المرأة إلا مع ذي محرم**»[٢]. وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة يوم وليلة وليس معها ذو حرمة منها**»[٣].

وعليه لا يجوز لها السفر منفردة مع صديقها ما لم يكن محرماً لها؛ سواء كان سفر سياحة، وهو المعتاد ـ غالباً ـ بين الأصدقاء أو غيره؛ بل حتى ولو كان سفر عبادة كعمرة.

٥ ـ ولأنه لا يجوز للمرأة إدخال بيت زوجها أحداً لا يأذن له ويرضاه، ولا إعطاء ماله بدون رغبته،

---

(١) المرجع السابق (٦/٦٥٦).
(٢) انظر: جامع الأصول (٥/٢٦).
(٣) أخرجه البخاري ومسلم. انظر: جامع الأصول (٥/٢٤).

ولا ممارسة ما يغضبه ولو كان مباحاً، ولا الخروج من البيت إلا بإذنه... إلخ.

والصداقة القائمة على امتزاج الصديقين وزوال الكلفة بينهما تقضي على المرأة إذا صادقت رجلاً أن تقع في المحذورات أو أغلبها. ومن هنا: فإنه لا صداقة ـ في ضوء التصور السالف للصداقة ـ بين الرجل والمرأة الأجنبية عنه في الإسلام، وهو: ما صوّره الصحابي فضالة بن عمير في موقفه من صديقته (قبل إسلامه): «يأبى عليك الله والإسلام»، وما صوّره موقف الصحابي الآخر مرثد الغنوي من صديقته عناق، حينما دعته إلى المبيت عندها فرفض، وذهب إلى الرسول ﷺ يسأله: هل يحل له أن يتزوجها لتأخذ هذه الصداقة وضعها المشروع في الإسلام؟[1]

يستوي في ذلك أن تكون صداقة بمفهومها القائم عند غير المسلمين؛ بل وعند بعض الفجرة من أبناء المسلمين، بأن تأخذ مقام الزوجة في الأنس والتمتع، ونحو ذلك من غير ارتباط، ولا إنجاب أولاد، أو حتى مع إنجاب أحياناً.

ـ أو صداقة بمفهوم ما كان يسمّى عند العرب

---

(١) سبق ذكر القصة.

قديماً بالحب العذري[١]. الذي تقوم عليه علاقة العاشقين بعشيقاتهم من غير زواج، وأعَفُّه، عندهم: أن يكتفي العاشق بالخلوة بحبيبه، والأنس بحديثه، وإمتاع النظر بوجهه، كما قال جميل بن معمر:

وإني لأرضى من بثينة بالذي
لو أبصره الواشي لقرت بلابله
بلا وبأن لا أستطيع وبالمنى
وبالأمل المرجو قد خاب آمله
وبالنظرة العجلى وبالحول تنقضي
أواخره لا نلتقي وأوائله[٢]

وأوسع من ذلك ـ هو الأغلب لدى أولئك العشاق ـ أن للعاشق أن يتمتع بعناق معشوقه وتقبيله، دون ما وراء ذلك، مما هو حق خاص للزوج، ولهذا جعلوا المعشوق قسمين، فنصفه الأعلى لعاشقه، ونصفه الأسفل للزوج، كما قال شاعرهم:

---

(١) يقصدون به الحب العفيف، وسمي عذرياً، لأن بني عذرة اشتهروا به. انظر: المعجم الوسيط ـ مادة (عذر)، وأمّا مستوى عفته فهو ما ذكر في المتن أعلى.

(٢) انظر: شرح ديوان جميل بثينة، ص: ٩٤.

أحن إلى ما تضمر الخمر والحلى
وأصدف عما في ضمان المآزر

وقال آخر موضحاً:

فللحِب ما ضمت عليه نقابها
وللبعل ما ضُمَّت عليه المآزر[١]

ـ أو كانت صداقة بأوصافها الحديثة الخادعة، كالحب النظيف، والصداقة البريئة التي تقوم وشائجها بين الشاب وقريبته ـ من غير المحارم ـ أو بينه وبين بنت الجيران، أو بين الزميل وزميلته في الدراسة أو التدريس أو الوظيفة، حيث يتزاوران في البيوت، ويسهران معاً للمذاكرة، ويخرجان معاً للنزهة، وقد جعل بعضهم هذه الصداقة وسيلة لاصطياد الزوجة أو الزوج، والمعاشرة قبل عقد الزواج، زعماً بأن في ذلك اطمئناناً على الحياة الزوجية بعد ذلك، أو أنه يكسر حدة تعلق النفس بالجنس الآخر إذا كسر الحاجز بينهما[٢].

---

(١) انظر: روضة المحبين لابن القيم، ص: ٨٧، ١٢٩، والحِب ـ بكسر الحاء ـ الحبيب.

(٢) على حد قول مجنون ليلى:

وزادني كلفاً بالحب أن منعت
أحب شيء إلى الإنسان ما منعا

ويتبع هذه الصداقات ما يسمّى عند بعضهم: بالصداقة في الهاتف حيث يعقد الشاب مع فتاة علاقة بالهاتف، تبدأ بتبادل الحديث، وبث الشكوى والشوق إلى اللقاء والتمنع أولاً، ثم اللين أخيراً، حتى تتطور الأمور إلى ما لا تحمد عقباه.

وكل هذه الصور جاء الإسلام ليحمي الرجل والمرأة من الوقوع في حبائلها التي تجره إلى دركات لا يريدها الإسلام للمسلم، ولا العاقل لنفسه.

وكل هذه الصور ـ رغم عدم تحرج بعض المسلمين المفتونين بالإباحية الغربية والمنساقين مع تيارها (مخالف للشرع والعقل، فإن فيها تعريضاً للطبع لما هو مجبول على الميل إليه، والطبع يسرق ويغلب، وكم من مفتون بذلك في دينه ودنياه) كما يقول ابن القيم[1]...

ونتائج التجارب البشرية في العلاقة بين الرجل والمرأة فضلاً عمّا قرّره الشارع الحكيم بشأنها ـ تؤكد أن التصورات التي تقع في أذهان بعض الناس، وينساقون إلى تجاربهم بناء عليها، مثل:

---

(١) روضة المحبين، ص: ٨٨.

- أن الشهوة الجنسية تنكسر حدتها بزوال الحاجز بين الجنسين.
- وأن عُقَد الحياة البشرية تزول بقيام ذلك الامتزاج بينهما دونما حرج.
- وأن المعاشرة قبل الزواج تقي فشل الزواج بعد قيامه... إلخ.

تلك التصورات التي يَدُعُّ الناس إليها، وإلى تحقيق غايتها بعضُ الضُلاَّل باسم الدراسات النفسية، أو الاجتماعية، أو غيرها تؤكد تلك النتائج كلها ـ أن هذه التصورات ما هي إلا خيالات فاسدة، وأن الحقيقة بعكسها؛ إذ أن تلك التجارب أجّجت الشهوة ولم تخمدها[1].

وزادت الحياة النفسية والاجتماعية تعقيداً، وزرعت الشكوك بين الأزواج، وكثرت بسببها حوادث الزنى والخيانات الزوجية والطلاق، حيث تزيد نسبها في

---

(١) يقول مسؤول جامعة أمريكية عن الطلاب والطالبات المختلطين في الجامعة: «إن معظم الطلاب والطالبات يعانون جوعاً جنسياً رهيباً، ولا شك أن الحياة العصرية الراهنة لها أكبر الأثر في تصرفاتهم الشاذة».

مجلة المجتمع، ص: ٧ عدد: ٩٦٨/٥/١١/١٤١٠هـ.

الدول بحسب إيغالها في هذا المجال، كما يتجلى يوماً بعد يوم في الدراسات المسحية، والإحصاءات[١].

والسلامة لمن أرادها، والسعادة لمن نشدها، هي بالاعتصام المكين بحبل الله، والأخذ بمنهجه الذي أنزله على علم بالنفس البشرية وحاجتها، وما يحيط بها: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٦﴾﴾[٢].

والنجاة تتحقق بترك التهوك في مهاوي الشيطان، وأودية الضلال، التي تغوي ضعيف النفس بالشعارات المغرية، وعوامل الإيهام الخادعة، كعلمية ما تقرره وتدعو إليه، وتحقيق حرية الإنسان، وإنقاذه من القلق، والإفضاء به إلى السعادة والأمان، والمعصوم من عصمه الله.

وفي ختام الكلام على هذا الأساس أنبه على مسألة أرى أهميتها للمسلم؛ ذلك أن ركون الإنسان إلى أن صداقته قائمة على أساس الألفة، والبعد عن

---

(١) انظر: الكتب التي تتناول المرأة أو قضية الاختلاط، مثل (حقوق المرأة في الإسلام) د. محمد عرفة، ص: ٢٤٠، عمل المرأة في الميزان ـ لمحمد البار، ص: ١٢٧.

(٢) الفرقان: ٦.

التكلف بما يجعلها مجال أنسه جلوساً وحديثاً واستماعاً، وغير ذلك أدى بكثير من الناس إلى أن أصبحت الصداقة مباءة للعبث والإسفاف، وفنون الهزل في حياة أولئك، فإذا ما أراد أحد هؤلاء الأصدقاء الجد، اتجه إلى آخرين يجالسهم أو يشاركهم في رحلة أو قراءة، أو نحو ذلك.

ولا ريب أن هذا المسلك غير سليم؛ لأنه يعني أن أغلب وقت هذا الإنسان هزل لا جد فيه؛ وهذا هو الواقع لكثير من الشباب ـ مع الأسف ـ لأن جلوسه مع صديقه ورحلاته معه أطول مما يقضيه مع الآخرين ـ غالباً ـ والمسلم الواعي لأمر ربّه، في هذه الحياة، أسمى من أن يضيعها بالعبث واللامبالاة؛ إن حياة المسلم جد وعمل، والترويح عن النفس، والتمتع بالمباح مباح له؛ بل مشروع[1] ـ إذا قصد به أن

(١) روى حنظلة الأسيدي: أن رسول الله ﷺ قال لمن تصور تجاوزه حدود الشرع في ترويحه عن نفسه مع أهله؛ لأنه يكون عند رسوله ﷺ في خشوع وقنوت واستحضار للآخرة، ثم ينصرف إلى البيت فيعافس النساء والأولاد، قال له الرسول ﷺ: **«لو دمتم على ما أنتم عليه لصافحتكم الملائكة مصافحة، ولكن ساعة وساعة»**.

انظر: صحيح مسلم (٤/٢١٠٦) حديث رقم ٢٧٥٠.

تستعيد النفس نشاطها للجد في العبادة والبناء ـ ولكن ذلك في حدود معقولة، لا يتجاوزها إلى أن يصبح هو الأصل والجد هو الاستثناء.

هذا من جانب، ومن جانب آخر: فإن الأصل في رابطة الصداقة أن تكون عامل بناء لشخصية المسلم، وارتقاء بها نحو الأفضل، ولهذا جاءت التوجيهات باختيار الصديق الصالح، والجليس المؤمن التقي؛ وذلك لا يتحقق إلا حينما تكون الصداقة رابطة حيوية إيجابية من الصديقين وإليهما معاً، فتتقدم بذويها، وترتقي بهم فكرياً وسلوكياً نحو ما ينفعهم وينفع مجتمعهم وأمّتهم.

أمّا الصداقة ـ بالوضع الذي أسلفناه ـ فإنها أقرب إلى أن تكون عامل هدم ووسيلة ضياع.

لهذا ينبغي على المتصادقين أن ينتبهوا لهذا الأمر، ويكونوا أعواناً على الخير لأنفسهم ولغيرهم.

والله الموفق.

❋ ❋ ❋

الأساس الرابع

الثقة

الثقة مصدر وَثِقَ يَثِق، وتكون للشخص الموثوق به، فيوصف بأنه ثِقة، أي: أمين، والثقة به ائتمانه، وهذا الائتمان قائم على معرفة من المؤتَمِن بالشخص المؤتَمَن معرفة حدته إلى أن يثق به، فهي نتاج قناعة عقلية ونفسية من إنسان بشخصية صديقه في إخلاصه وحبه لصديقه، أو في هذا وفي غيره كنبله، وسمو أخلاقه، وقدراته الفكرية... إلخ. فيأمن صديقه، ويرتفع حسن الظن به إلى أعلى درجاته، ويفتح نفسه له ليبادله الحال، هذه هي الثقة وهي نتاج تلك القناعة التي تولدت من المعرفة والفهم للصديق، وهو الأساس السابق.

أهميتها:

الثقة بين الصديقين ضرورية لرباط الصداقة الذي

لا يكون محكماً ثابتاً بدونها، ولعل من المناسب أن أشير إلى أن من معاني مادة (وثق) الثبات والإحكام والقوة[١].

والثقة بدءاً تمثل اختباراً للأسس السالفة، لأن فقدها بل ضعفها بين شخصين، يعني: عدم تحقق الحب والألفة بينهما بما يكفي لقيام صداقة بينهما، وإلا لولَّد ذلك ثقة بينهما واقتناعاً من كل منهما بالآخر، ثم إن الصداقة ليست علاقة تسلية عارضة، وسدّاً للفراغ في عطلة الأسبوع ونحوها غايتها لقاءات في المقاهي أو جلسات على الأرصفة، أو رحلات خارج المدينة على اجترار النكت وجر الأنفاس بالنرجيلة، والدخان، ولعب الشطرنج، واستماع اللهو، والتفنن بالأكلات، والنوم بعيداً عن الزوجة والأهل.

ليست هذه غاية الصداقة، وإن عقمت أفكار بعض الشباب عن تصور شيء وراءها.

إن الصداقة رابطة يقوم عليها تعاون على أعمال البر، وطلب استفادة في أمور الدين والعلم، وتكافل اجتماعي بين الصديقين ومن يهمهما، والصديق مستشار

---

(١) (وَثُقَ يَوْثُق وثاقة قوي وثبت وصار محكماً).
المعجم الوسيط (١٠٢٢/٢).

في الأمور، ومستعان به في المهمات، ومستودع للأسرار، ونحو ذلك.

وكل هذه الأمور لا يُقْدم عليها الإنسان، وتتم على وجه مرضٍ، إلا إذا ركنت إلى ثقة متبادلة بين الصديقين، وإلى قناعة كل منهما بأن الآخر كفء لذلك.

وعليه: فأساس الثقة ثمرة الأسس السابقة، وركيزة لما تثمره الصداقة من نتائج.

وأبرز الخصائص المحققة للثقة: التدين والخلق الحسن، والرزانة والروية الفكرية، ومتانة الأساس لصداقته حباً وإخلاصاً، ونحو ذلك ممَّا يحقق التكامل بشخصية الإنسان عموماً، والصديق خاصة، ويولد عند صديقه ثقة بهذه الشخصية ذاتها؛ لأنها ملتقى تلك الخصائص وبحركتها في الحياة تلك الحركة التي ستكتسب سداداً بسبب تلك الخصائص.

ومن ثم فهناك فرق بين الثقة التي توليها صديقك، والثقة التي قد تمنحها آخر بعيداً منك، لأن ثقتك بصديقك واقعة على شخصيته، بحيث إن قيامه بأمر من أمورك ـ وكيلاً عنك ـ يساوي قيامك به أنت، من حيث شعورك النفسي، أمَّا ثقتك بآخر فإنما هو لخاصية فيه،

فاق بها من حوله، كقدرته الفكرية، أو دماثة خلقه، أو حبه للآخرين؛ ومن ثم فالثقة فيه لأجل هذه الصفة فقط، ومجالها ما كان في ميدان هذه الصفة، فصاحب الرأي موثوق في تولي أمر فكري، وصاحب الخلق موثوق في معالجة أمر اجتماعي مثلاً... وهكذا.

أمَّا منزلة هذه الثقة بين الصديقين في الدين، فإنها تتجلى من جانبين:

الأول: أن مضمون الثقة متداخل مع مضامين حسن الظن، والتسليم والتفويض والتوكل؛ بل جعل بعضهم التوكل هو الثقة بعينها، وفي كلام ابن القيم ـ رحمه الله ـ في المدارج عن منزلة (الثقة بالله تعالى) في شرحه لمنازل السائرين بيّن: أن الثقة خلاصة التوكل ولبه، وسواد عينه، لأنها أشرف ما فيه، ولأنها نقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم لله، واستشهد على الثقة بقوله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ﴾ قال: «فإن فِعلها هذا هو عين ثقتها بالله تعالى؛ إذ لولا كمال ثقتها بربها لما ألقت بوليدها وفلذة كبدها في تيار الماء تتلاعب به أمواجه»[1].

(١) انظر: مدارج السالكين، ص: ١٤٣، ١٤٤.

والمسلم مأمور بأن يصرف هذه العبادات لله وحده دون سواه، والعدول بها أو ببعضها عن الله إلى سواه أو إليه مع الله شرك في العبادة، وإخلال في القيام بشهادة أن لا إله إلا الله.

وقد قال سبحانه: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١).

وقال: ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾(٢).

وقال: ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾(٣).

وقال ناهياً عن اتخاذ غيره وكيلاً من دونه: ﴿وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُواْ مِن دُونِى وَكِيلًا﴾(٤).

وقال سبحانه: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ

---

(١) المائدة: ٢٣.

(٢) يونس: ٨٤.

(٣) المزمل: ٩.

(٤) الإسراء: ٢.

حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[١].

وقال ﷺ فيما رواه جابر بن عبدالله: «**لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجلّ**»[٢].

ومع أن العلماء قالوا: إن الحديث يحذر العبد من القنوط، ويحثه على الرجاء عند الخاتمة تغليباً له على جانب الخوف الذي كان عديله قبل ذلك في شعور المسلم، إلا أنه لا يقتصر على ذلك، وإنما يعم حال المسلم أن يكون دائم حسن الظن في كل أحواله، وفي سائر فترات حياته، فهو كقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٣].

ووجه ذلك: أن الرجاء المطلوب تغليبه عند إدبار العبد من الدنيا، القائم على حسن الظن بالله، لا يقابله خوف قائم على سوء الظن بالله والعياذ بالله، بل خوف قائم على رؤية تقصير النفس في أمر الله، والوجل من الذنوب التي اجترحها العبد، لأن العقاب عدل من الله بسبب ذنوب العبد... أمَّا العفو والرضوان فهو فضل الله

---

(١) الأحزاب: ٦٥.

(٢) صحيح مسلم في آخر كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (١٢٠٦/٤).

(٣) آل عمران: ١٠٢.

ورحمته... أمَّا سببية العمل الصالح فهي ذاتها فضل من الله وكرم[١].

والثقة بالله ثقة مطلقة بذاته وبعدله وعلمه وحكمته وقدرته، وسائر صفاته وبكمال أفعاله، وهي تجل عن مقارنتها بثقة الإنسان بغير الله حتى ما اتخذه بعض الناس أرباباً لهم من دون الله، كالعقل البشري، والعلم المادي، والأحزاب المذهبية، ونحوها من مؤلهات العصر الحديث.

وعلى ما تقرر بشأن ثقة المؤمن بربه، وحسن ظنه به، وتوكله عليه من حيث مقامها الشرعي تكون ثقة المؤمن بصديقه ثقة تابعة لثقته بالله، نسبية تحكمها ثقته بربه، فما أمر الله به فهو عين المصلحة للإنسان، ولا قيمة لأمر يخالفه ولو جاء به الصديق، فالثقة ـ هنا ـ منزوعة عما قدمه هذا الصديق، وما نهى عنه سبحانه فهو مفسدة، والصديق المغري بارتكابه منزوع الثقة في هذا الشأن، حتى وإن ظهر في بادىء الأمر مصلحة في المنهي، أو مفسدة في المأمور، من خلال تأكيد الصديق على ذلك، وعلى صدقه وإخلاصه فيه.

---

(١) انظر في أحاديث الظن: شرح النووي على مسلم (٢١٠/١٧)، فتح الباري (٣٨٥/١٣).

لأن من ثقته بربه ثقته بحكمته وعلمه وفضله في كل ما نهى وأمر؛ سواء ظهرت له هذه الحكمة أو لم تظهر.

وللمسألة وجه آخر هو: أن من أكبر مستندات ثقة المسلم بآخر إيمان الشخص ـ الموثوق به ـ والتزامه بالدين واستقامة خلقه[١].

وكلما قوى إيمانه والتزامه زادت الثقة به؛ وما ذلك إلا لأن استقامته ارتقت به ليكون ممثلاً في أفكاره وسلوكه مرادات الله في كتابه، وفي سنة رسوله، وبالمقابل فكلما ابتعد عن تعاليم الشرع، تناقصت الثقة فيه بحسبه.

الثاني: أن الإنسان أيًّا كان، ومهما بلغ في علمه وذكائه وخلقه وإخلاصه غير معصوم عن الوقوع في الخطأ ـ باستثناء الرسل ـ وهذه قضية عقدية في الإسلام كان لها أثرها العظيم في حياة المسلمين وفكرهم، حيث تحرروا بها من العبودية للفكر البشري أيًّا كان وحصرت التسليم المطلق لما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، وفي

---

(١) وبالمقابل فضعيف الالتزام بالدين، وفاقد الإيمان منزوع الثقة، لا يركن إليه، ولا يعد محلاً لأمان ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾ هود: ١١٣.

هذا يقول الإمام مالك ـ رحمه الله ـ: «كل يؤخذ من كلامه ويرد، إلا صاحب هذا القبر» يعني: رسول الله عليه الصلاة والسلام[١].

ومن ثم فلا يمكن أن ترتقي ثقة الصديق بصديقه مهما بلغ إلى مرتبة العصمة لشخصه أو لفكره؛ بل هي دون ذلك، وكلما زاد اعتصام ذلك الصديق بحبل الله ومنهجه، ارتقت درجة الثقة فيه، لكنها لن تبلغ العصمة بحال.

وعليه: لا أرى من المناسب الاستشهاد على تحقق الثقة بين الصديقين بفعل أبي بكر مع الرسول ﷺ حينما هرع إليه المشركون ليهزوا ثقته بالرسول ﷺ فقالوا: «إن صاحبك يزعم أنه ذهب البارحة إلى بيت المقدس وعاد»، وأن أبا بكر رضي الله عنه قال: «إنكم تكذبون عليه»، فقالوا: «بلى، ها هو ذاك في المسجد يحدث به الناس»، فقال أبو بكر: «والله لئن كان قاله لقد صدق».

ذلك أن المستند الأول الذي تقوم عليه ثقة أبي

---

(١) لا ريب أنه قد زاغ عن هذ الأصل أناس منتسبون للإسلام، فحكموا بعصمة أئمتهم ومشايخهم، كالغلاة من الروافض والمتصوفة ونحوهم، وانتهى ذلك بتقديسهم وعبادتهم أحياناً.

بكر بصاحبه رسول الله ﷺ ليس هو ما بينهما من علاقة مودة وصداقة، وإنما هو الإيمان العميق الجذور برسالة محمد ﷺ، أي: باتصاله بالله اتصال تَلَقٍّ لوحيه، معصوماً من أن يشوبه بشيء من ذاتياته، وهذا ما أبرزه الصِّديق، حينما قال لهم: «فما يعجبكم من ذلك؟ ـ أي في تصديقي خبر الإسراء ـ فوالله إنه ليخبرني أن الخبر يأتيه من الله من السماء إلى الأرض في ساعة من ليل أو نهار فأصدقه، فهذا أبعد ممَّا تعجبون منه»[١].

وورود الخطأ وانتفاء العصمة عن الصديق، لا يتوجه إلى آرائه وعلمه فقط، بل حتى في سلوكه وشخصيته، فقد يتغير حاله، وتضطرب أموره فيذبل حبه ويفسد إخلاصه، والبقاء لله وحده، والإنسان قد يتغير، ولهذا ورد فيما رواه الترمذي: **«أحبب حبيبك هوناً ما عسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما عسى أن يكون حبيبك يوماً ما»**[٢].

والمقصود أنه مع اعتبار الثقة أساساً من أسس الصداقة الحقيقية، إلا أنه ينبغي للمسلم ألا يتجاوز بهذه

---

(١) انظر: القصة في سيرة ابن هشام (٢/٥).

(٢) رواه الترمذي والبخاري في: الأدب المفرد، والطبراني والبيهقي في: الشعب وغيرهم، قال محقق جامع الأصول: إنه موقوف صحيح. انظر: جامع الأصول (٦/٥٤٩).

الثقة حدودها المعتبرة شرعاً، فيجمح به حبه لصديقه وإعجابه به، واستحواذ شخصيته عليه، إلى أن يرفعه إلى مرتبة العصمة والقداسة عن الخطأ، فيأخذ بآرائه، ويبرر أفعاله، ويخطِّىء من خالفه، استناداً إلى الثقة به، دون نظر في هذه الآراء والأفعال بميزان الشرع القويم.

والله الموفق.

❋ ❋ ❋

الأساس الخامس

الإخلاص

ترد مادة (خلص) على معاني الصفاء، وزوال الشوب عن الشيء، والنجاة والسلامة، وأخلص على التنقية والتصفية.

وإخلاص الدين لله تنقيته من شوائب الشرك والجحود.

ومن معاني الإخلاص: الاختيار والاختصاص والتمييز، وقد قال سبحانه: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا﴾[1].

ولأن الصداقة تتضمن معاني الصفاء والاختيار والاختصاص، جعل العلماء من مدلولات مادة الإخلاص الصداقة، فقالوا:

---

(١) الأنعام: ١٣٩.

خالصه في العشرة، أي: صافاه، وفلان خِلْصي أي: خدني، وخُلْصاني أي: خالصتي، إذا خلصت مودتهم، وفلان خالصةُ فلان، أي: مُتَخَيَّره من بين الأصدقاء، وأخلص فلاناً اختاره واختصه بدخيلة نفسه[1].

والإخلاص الذي ورد به الشرع في مثل قوله سبحانه: ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾[2]، و﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[3]، و﴿وَأَخْلَصُوا۟ دِينَهُمْ لِلَّهِ﴾[4].

يقصد بحقيقته التبري عن كل ما دون الله تعالى، والبراءة من شرك اليهود والنصارى، وسائر المشركين والمستكبرين.

أمّا مرادنا بالإخلاص ـ هنا ـ بصفته أساساً من أسس الصداقة فلا نقصد به اختيار الشخص شخصاً آخر للصداقة من بين آخرين فحسب، وإنما نريد به اختصاص هذا الشخص المختار للمصادقة بالدرجة العليا من أسس الصداقة السالفة بأن يمحضه حبّه وألفته،

---

(١) انظر: مادة (خلص) في: لسان العرب والمعجم الوسيط.
(٢) الأعراف: ٢٩.
(٣) الزمر: ٣.
(٤) النساء: ١٤٦.

وينفي أدران التكلف معه، وتسلم ثقته به من المكدرات. فتبلغ تلك الأسس بينهما غاياتها الممكنة.

ويكون قيامها بصفتها أسساً للصداقة حاضراً؛ لأن بعضها قد يوجد ـ أحياناً ـ بين اثنين، لكنه وجود عارض لسبب استثنائي، فقد يحب شخص آخر لتوافر معروفه عليه:

وكل امرىء يولي الجميل محبّب[1]

.....

وقد يثق امرؤ بغيره كمن رافقه في سفر وغربة، واتحد هدفهما في هذا الشأن فوثق فيه واعتمد عليه ـ بعد الله ـ في إنجاز أمور تعنيهما معاً. وكما أن الإخلاص في الدين يختل بالرياء الذي يخالف فيه ما يظهره الإنسان من صور العبادة والتدين ما يستبطنه من نيات ومقاصد، كذلك فإن الإخلاص في الصداقة يختل، إذا تفاوت المضمر والمظهر، ويزداد اختلالاً كلما زاد هذا التفاوت.

فقد يظهر امرؤ حب الصديق وثقته به كلاماً أو

---

(١) الشطر الأول من بيت للمتنبي، وشطره الآخر:

..... وكل مكان ينبت العز طيب

عملاً، كاستشارته أو إظهار التأثر بمصابه، ونحو ذلك، لكن يبقى ما تحت ذلك من ميول قلبية، وقناعات عقلية، أهي متحققة في تلك الأسس، فالإخلاص موجود، أم هي كالحب في المسلسلات يلهج به المحبان! أكثر من ذكر الله، ثم تعصف به أوهى الحوادث في لحظات، ممّا يعني أنه مزايدة ظاهرية، لا حقيقة لها.

وأساس الإخلاص الذي يقوم عليه قياماً حقيقياً ثابتاً هو: الإيمان بالله، والالتزام بشريعته التي نظمت حركة الإنسان في الحياة، ومنهج علاقاتها المتنوعة.

إن هذا الإيمان يصفّي القلوب، وينفي عنها أوضار الحقد والغل والحسد والظلم، ومن ثم يبني العلاقات بين المؤمنين على الحب والسلام والألفة، ويؤكد الإسلام على تنمية هذه الأسس، كما في قوله ﷺ: «**تهادوا تحابوا**»[١]، وقوله: «**ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم**»[٢]، وقوله ﷺ: «**المؤمن يألف ويؤلف، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف**»[٣].

---

(١) جامع الأصول (٦١٨/٦) روى من طرق حسان.

(٢) أخرجه مسلم وغيره. انظر: جامع الأصول (٥٤٧/٦).

(٣) ذكر الحديث فيما سبق.

كذلك فإن الشريعة تضبط حركة الإنسان المسلم، بمنهج رباني تبرز من خلاله قيمة الحق عند الشخص، وتظهر للناس مدى استقامته الخلقية، فإذا ما ارتقى امرؤ في هذا السلّم تحقق الإخلاص منه في جانب علاقاته الاجتماعية على هذا الأساس المتين؛ لأن التزامه وتقواه تتضمن هذا الإخلاص، فإذا ما وجد مجاله وهو الصداقة، برز فيها عملياً، أضف إلى هذا: أن معيارية الشرع لحياة المسلم تقلل من فرص بروز خلاف بين الصديقين، تهيمن فيه الأهواء والرغبات الشخصية، ممّا يمثل معولاً هادماً في بناء الإخلاص؛ ذلك أن الصديقين المسلمين لهما غاية واحدة هي العبودية لله، للفوز برضوانه، وحركتهما لتحقيقها محددة المنهج، أو مربوطة بأهداف وأصول شرعية واحدة، يجتمعان عليها، فينحصر الخلاف في صغائر لا وزن لها إزاء تلك الجوامع بينهما.

وخلاصة القول في قيمة الإخلاص بين أسس الصداقة: أنه روح تسري في تلك الأسس فتجعلها ملكات عقلية، ومشاعر روحية تتمثل في صور عملية حركية.

ولهذا فهو ـ في الحقيقة ـ صفة لكل أساس من تلك الأسس، فالحب والفهم والثقة والألفة لا بد أن تكون خالصة، وإلا فقدت حياتها وطهرها.

من الذي تنبغي مصادقته

يتوسع من يبحث هذه المسألة في تعداد الخصائص التي لا بد من توافرها في الصديق. لكني سأقصر الحديث على ثلاث خصائص تحوي فروع الفضائل المطلوبة في الصديق.

الأولى: العقل:

لا مناص لمريد النجاح في المعاشرة أن يختار صديقه عاقلاً، متزن الفكر، يفهم الأمور بنفسه، أو إذا فهمها ويقدر الأمور قدرها. والعقل السليم الرشيد ميزان قسط لدى صاحبه، يقيمه على العدل في النظر إلى الأمور والأحكام والتعامل، ويحميه من التردي في حضيض الجهالة، وبه سمي العقل عقلاً؛ لأنه يعقل صاحبه ويحبسه عما لا يليق[1].

(١) أدب الدنيا والدين للماوردي، ص: ١٦٨.

وفي مقابل العاقل الأحمق الجاهل، وبئس ذلك من صديق، إنه بدءاً يفتقد المبدأ العادل الذي يمكن للصديق أن يعوّل عليه، ومن ثم فلا تؤمن مفاجآته التي يحملها جهله وحمقه الذي يفيض على صديقه ضرراً ونقصاً، ولهذا قالوا في الحِكَم: (عداوة العاقل أقل ضرراً من مودة الأحمق؛ لأن الأحمق ربما ضرّ وهو يُقَدِّر أنه ينفع، والعاقل لا يتجاوز الحد في مضرته، فمضرته لها حد يقف عليه العقل، ومضرة الجاهل ليست بذات حد)[1].

وقال الشاعر:

فلا تصحب أخا الجهل ... وإيّاك وإيّاه
فكم من جاهل أردى ... حليماً حين آخاه

وقال آخر:

إذا ما كنت متخذاً خليلاً
فلا تثقن بكل ذوي إخاء
فإن خيّرت بين الناس فالصق
بأهل العقل منهم والحياء

(١) انظر معنى (عقل) في القواميس.

فإن العقل ليس له إذا ما
تفاضلت الفضائل من كفاء[1]

ومن الأمثلة المشهورة التي تذكر لبيان سوء نتيجة مصادقة الأحمق حكاية الرجل الذي صادق دبّاً وجده في الفلاة مقيداً، فأطلق قيده، وصحبه معه، فكانت خاتمته أنه أراد أن يحمي صديقه الإنسان وهو نائم من أذى ذبابة وقعت على رأسه، فدحرج صخرة عظيمة ليقتل بها الذبابة فقتلت صاحبه.

الثانية: الدين:

وإليه وجَّه الرسول ﷺ في قوله المذكور سابقاً: **«لا تصحب إلا مؤمناً»**.

وجعله الأساس في عشرة الزواج، وهي: عشرة عمر الإنسان، فقال ﷺ موجهاً مريد الزواج: **«اظفر بذات الدين تربت يداك»**[2].

وأوصى أولياء النساء: **«إذا جاءكم من ترضون دينه**

---

(١) أدب الدنيا والدين، ص: ١٦٨.

(٢) رواه البخاري وغيره. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٤٢٩/٤).

وخلقِه فزوجوه»[١].

وقد سلف في مبحث الحب في الصداقة: امتناع قيام صداقة حقيقية بين المسلم والكافر.

لكنّا هنا: لا نقف في خاصية الدين عند حدود الانتساب للإسلام بالهوية أو الوراثة، دون الالتزام العقدي والسلوكي بمنهجه؛ إذ المقصود بالتدين: أن يكون الشخص متمثلاً بالإسلام، متحققاً بالإيمان، يجد فيه صديقه عوناً على الطاعة، ودافعاً نحو طلب ما عند الله، وعليه: فالفاسق ورقيق الدين الذي ضعف خوفه من الله لا تليق بالتقي مصاحبته؛ لأنه لا تؤمن بوائقه، ولا يوثق بصداقته، ومن تجرأ على حدود الله وانتهكها، فهو على حقوق الآخرين أجرأ.

والصديق الفاسق شؤم على صاحبه؛ لأنه لن يتركه وشأنه؛ بل سيجره معه إلى فسقه ومجونه، ليذهب عن نفسه وحشة الانفراد بالمعصية، أو ليهدم حاجز النفرة بينه وبين صديقه بسبب معصيته، وأسوأ من مصادقة الفاسق مصادقة المبتدع، فإن الفاسق ـ رغم وقوعه في المعصية ـ يقر بحرمتها، ومع تركه للواجب لا ينكر وجوبه، أمّا المبتدع: فإنه يتدين بما يخالف الشرع، فهو

---

(١) رواه الترمذي بروايات متعددة. انظر: تحفة الأحوذي (٤/٢٠٤).

فاسد في تصوره وسلوكه؛ ومن ثم فصحبته خطر على الإنسان في دينه وفكره وخلقه، وكان السلف ينهون عن صحبة المبتدعين ومجالستهم.

ومن هنا: فإن التدين المطلوب في الصديق يعني: الالتزام الصادق بالإسلام في العقيدة والعبادة والسلوك والآداب. وكله داخل في قوله ﷺ: «**لا تصحب إلا مؤمناً**». وفي قوله ﷺ: «**المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يخالل**».

الثالثة: حسن الخلق:

ذكر رسول الله ﷺ في حديث الترمذي السابق في شأن المتقدم للزواج، إضافة إلى خاصية الدين السالفة الخلق الحسن، حيث قال ﷺ: «**إذا خطب إليكم من ترضون دينه وخلقِه فأنكحوه**».

وهكذا الأمر في الصداقة، لا بد أن يُتحرى في المراد مصادقته، إضافة إلى عقله ودينه حسن خلقه وكرم شمائله.

فقد يكون إنساناً متديناً، ولكنه مطبوع على خلال لا تستقيم له بها معاشرة مع الآخرين، ولا تتمكن أسس الصداقة عنده بسببها[1].

---

(١) قال ﷺ فيما رواه البزار وأبو يعلى: «**يطبع المؤمن على كل**=

أجل إنه يكون صالحاً في نفسه، مؤدياً الشعائر الإسلامية، ولكنه بحكم طبع أو وراثة، أو نشأة معينة يكون شحيحاً، جباناً، انفعالياً، ضعيف الرجولة، ضيق الأفق، كافراً للعشير، ونحو ذلك.

وإذا كانت هذه الصفات أو بعضها، أو ما هو أكثر منها تحكم تصرفاته مع صاحبه، وتفرض نفسها على علاقة الصداقة بينهما، فلا ريب أن مآلها إلى الانقطاع والتباعد.

قال الغزالي في الإحياء عن شرطية حسن الخُلُق في الصديق: (وأمّا حسن الخُلُق فلا بد منه؛ إذ رب عاقل يدرك الأشياء على ما هي عليه، لكن إذا غلبه غضب أو شهوة أو بخل أو جبن أطاع هواه، وخالف ما هو معلوم عنده بعجزه عن قهر صفاته، وتقويم أخلاقه، فلا خير في صحبته)[1].

قال الجنيد ـ رحمه الله ـ فيما نقل عنه: «لأن يصحبني فاسق حسن الخُلُق أحب إليّ من أن يصحبني قارىء سيء الخُلُق»، ونقل عن جعفر الصادق ـ

= **خلة، ليس الخيانة والكذب»** قال في مجمع الزوائد: رجاله رجال الصحيح (٩٧/١).

(١) إحياء علوم الدين (١٧١/٢).

رحمه الله ـ أنه قال: «لا تصحب خمسة:

* الكذاب: فإنك منه على غرور، وهو مثل السراب يقرب منك البعيد، ويبعد منك القريب.

* والأحمق: فإنك لست منه على شيء يريد أن ينفعك فيضرك.

* والبخيل: فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه.

* والجبان: فإنه يسلمك ويفر عند الشدة.

* والفاسق: فإنه يبيعك بأكلة أو أقل منها»[1].

والخصائص الثلاث التي ذكرنا ضرورتها للصديق جامعة للفضائل كلها، فإذا كمل للمرء عقله الذي تقوم عليه إنسانيته وتأهله لحمل الأمانة العظمى ـ العبودية الاختيارية لله الواحد ـ وإذا تم دينه الذي يحفظ له سمو إنسانيته وينير له مسالكه، وإذا حسن خُلُقه الذي به قوام حياته وعشرته، فذاك الحقيق بأن يصادق ويمنح الثقة والمودة.

❋ ❋ ❋

(١) انظر: النقلين في المرجع السابق (٢/١٧٢).

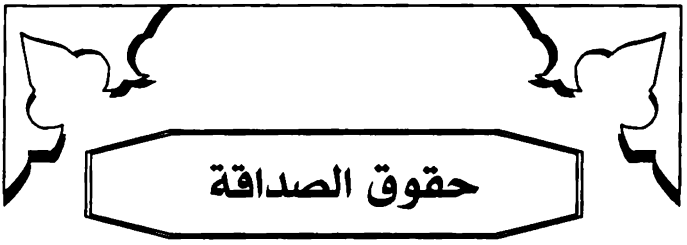

الصداقة ـ كما سلف ـ رباط وميثاق بين المتصادقين، شبيه بعقد الزوجية بين الزوجين.

وكما أنه يترتب على عقد الزواج حقوق لكل من الزوجين على زوجه، كذلك فإن رباط الصداقة يستلزم حقوقاً متبادلة بين الأصدقاء.

وتتراوح هذه الحقوق بين الوجوب والندب بحسب مقامها في الشرع، وتحقيق المصلحة المعتبرة شرعاً.

وقبل تصنيف حقوق الصداقة أشير إلى مسألتين جديرتين بالتنبيه إليهما:

أولاهما: أن الحقوق التي رتّبها الشارع بين المسلمين على أساس الأخوة الإسلامية العامة بينهم من حقوق الصداقة بطريق الأولى؛ لأن الصداقة أخص من الأخوة في كيفيتها، كما أنها أخص منها في متعلقها

وهم الناس؛ إذ كل صديق أخ في الإسلام ولا عكس.

ومن تلك الحقوق ما وردت به الأحاديث المشهورة، كقوله ﷺ: «**المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه، كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كربة، فرّج الله عنه بها كربة من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة**»(١).

وقوله ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**»(٢).
وقوله ﷺ فيما أخرجه البخاري ومسلم: «**حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعيادة المريض، واتباع الجنازة، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس**»(٣).

ونحو ذلك وهو كثير في الكتاب والسنة.

يقول ابن تيمية ـ رحمه الله ـ: «أمّا التزام الأخوة الإيمانية التي أثبتها الله بين المؤمنين بقوله: ﴿إِنَّمَا

---

(١) رواه البخاري ومسلم والترمذي. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٦١/٦، ٥٦٤).
(٢) رواه البخاري وغيره. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٦٨/٦).
(٣) رواه البخاري ومسلم. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٢٧/٦).

﴿ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[١].

وقول النبي ﷺ: «**المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه**».

وقوله ﷺ: «**لا يبع أحدكم علي بيع أخيه، ولا يستام على سوم أخيه، ولا يخطب على خطبة أخيه**».

وقوله ﷺ: «**والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه**». ونحو ذلك من الحقوق الإيمانية التي تجب للمؤمن على المؤمن، فهذه الحقوق واجبة بنفس الإيمان، والتزامها بمنزلة التزام الصلاة والزكاة والصيام والحج والمعاهدة عليها كالمعاهدة على ما أوجب الله ورسوله، وهذه ثابتة لكل مؤمن على كل مؤمن، وإن لم يحصل بينهما عقد مؤاخاة[٢].

ثانيتهما: أن أسس الصداقة التي سبق بيانها حبّاً وفهماً وألفةً وثقةً وإخلاصاً تمثل حقوقاً أولية لكل صديق على صديقه، يطبع بها الصديق شخصيته، حتى تمثل جزءاً منها.

---

(١) الحجرات: ١٠.

(٢) مجموع الفتاوى (١١/١٠٠ ـ ١٠١).

بعد هاتين النقطتين أشير إلى نماذج من حقوق الصداقة في متعلقات أربع موجزاً القول[١]:

١ ـ الحقوق المتعلقة بالقلب:

فمنها: أن يكون مخلصاً له ومحباً، حسن الظن به، مطرحاً خطرات الوساوس التي قد تغير القلب إذا تكاثرت، وأن يحمله على الخير ما وجد لذلك محملاً.

ومنها: سماحة نفسه معه، ومقاومة وجود الحرج في نفسه عند خطأ صديقه في حقه، وانشراح النفس بمطالبه وتذليلها، حتى لا يشق عليه ما يأخذه الصديق منه من حاجات، ويجمع هذا قوله ﷺ: «**لا يؤمن**

(١) ولمن شاء مزيد فائدة في هذا الشأن أن يراجع مظانه من كتب الرقائق والأدب، ومن ذلك:

أ ـ أدب الدنيا والدين للماوردي، ص: ١١٧.

ب ـ إحياء علوم الدين للغزالي (١/١١٧).

جـ ـ الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي (٣/٥٧٤)، وفي الجزء الثاني مواضع متفرقة منه، وقد يوجد في بعضها مبالغات صوفية أو شعرية نتيجة اعتماد كتب الرقائق ـ غالباً ـ على الأشعار وحكايات المتصوفة.

د ـ شرح عين العلم للقارىء (١/٣٦٠).

هـ ـ ديوان ابن مشرف، ص: ١٠٧.

أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[١]. وعدم نسيانه، والانقباض لفراقه، أو فقده، والتألم لما يصيبه في أمر دينه ودنياه، ممّا يدفع إلى حركة ينتفع بها صديقه عند هذه المصيبة.

٢ ـ الحقوق المتعلقة باللسان نطقاً وسكوتاً:

فما يتعلق بالنطق يشمل محض النصيحة له، من خلال ملاحظة حاله، بدعوته إلى خير قصر عنه، أو بيان خطر شر قد استغواه، وتعليمه الحق، حتى تستقيم حاله وحال أهله.

والسؤال عن حاله، وحال أولاده.

وإيناسه بالحديث بما لا يخرج عن الحق.

وإخباره بما يجد في نفسه له من الحب والثقة والوفاء ممّا يمكّن الصداقة بينهما ويزيد اطمئنانه.

والثناء عليه بفضائله، وبما هو أهله عند الآخرين.

والذبّ عنه حين يساء إليه، أو يستهزأ به، أو يذكر بما يشينه، روى أبو الدرداء: أن رسول الله ﷺ

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر جامع الأصول لابن الأثير (٢٣٩/١).

قال: «**من ذبّ عن عرض أخيه رد الله النار عن وجهه يوم القيامة**»[١].

وإخباره عن نفسه وأحواله وأحوال أهله بما يزيد ألفة بينهما ومشاورته في أموره وخاصة فيما له صلة بصداقتهما، والأدب في الحديث معه بما يرفع مقامه أمام الآخرين.

والدعاء له بالخير في حياته، وبعد مماته، روى مسلم عن رسول الله ﷺ: «**ما من مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك مثل ذلك**»[٢].

وما يتعلق بالسكوت يدخل فيه كف اللسان عن ذكر عيوبه، ونشر سقطاته بين الناس، وترك مماراته، والجدل معه ممّا قد يغير القلب ويفسد الود.

والحذر من إفشاء أسراره، ولو لأقرب الناس إليه، روى أبو داود والترمذي عن النبي ﷺ: «**إذا حدث رجل رجلاً بحديث ثم التفت فهو أمانة**»[٣].

وتجنب الإثقال عليه بالأسئلة عن ذاته أو أهله، أو

---

(١) أخرجه الترمذي وقال: حديث حسن. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٧٠/٦).

(٢) رواه مسلم. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (١٦٧/٤).

(٣) حديث حسن. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٤٥).

غير ذلك، ممّا يحرجه الإفصاح عنه.

وعدم مواجهته بما يكره، ممّا فيه مسبة له وذم، سواء ممّا سمعه فنقله إليه، أو ممّا كشفه فيه؛ بل ينبغي أن يترفق في تنبيهه، لتلافي ذلك النقص في غاية اللطف واللباقة، حتى لا يجرح مشاعره.

٣ ـ الحقوق المتعلقة بالعمل:

بأن يعينه بنفسه في كل ما يهمه، ويكون ناصره على النوائب، ويرتفع به ما استطاع نحو مقام أعلى من مقامه الذي هو فيه؛ سواء كان في أمر دينه، أو في أمر دنياه.

وبأن يتفقد عياله ويتحسس حاجتهم؛ سواء في حضرته، أو في مغيبه أو بعد موته، ويرعى شؤونه ما استطاع.

روي عن النبي ﷺ أنه قال: «**المؤمن أخو المؤمن يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه**».

وروى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ أنه ﷺ قال: «**إن أحدكم مرآة أخيه، فإن رأى به أذى فليمطه عنه**»[١].

---

(١) الحديثان حسنان، وكلاهما من رواية الترمذي، انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٦٣/٦).

ومن ذلك الموافقة له فيما اتجه إليه في غير معصية لله؛ لأن الوفاء له في ذلك هو في مخالفته وردّه عن هذا الاتجاه ـ نحو المعصية ـ، كما قال ﷺ: «**انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً**». وبيّن ـ عليه السلام ـ أن نصره إذا ظلم يكون بردعه عن الظلم[1].

وتعاهده بالزيارة التي تحفظ حيوية الصداقة، وتقوم بها حقوقها، ولا تؤدي إلى الملل والمضايقة.

وبالمقابل ـ أيضاً ـ يستزيره ويكرم زورته إذا زار، ومنها المبادرة إلى مداواة العلل العارضة للصداقة بما يزيلها؛ سواء كانت من قبله هو، أو من قبل صديقه.

ومن هذه الحقوق: الكف عن التجسس عليه، والحذر من التساهل بالنظر إلى عوراته...

والعفو عن زلاّته والتماس العذر له ما أمكنه، والإغفاء عن هفوات الطبع ما قدر.

فمن ذا الذي ترضى سجاياه كلها
كفى المرء نبلاً أن تعد مثالبه

---

(١) انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٦٨/٦).

وقديماً قيل:

ولست بمستبق أخاً لا تلمُه
على شعث، أيّ الرجال المهذب؟

٤ ـ الحقوق المتعلقة بالمال:

أصل ذلك: قوله سبحانه: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا۟ مِنۢ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمْ﴾... إلى قوله سبحانه: ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾[١].

فقد قال قتادة في ذلك: «إذا دخلت بيت صديقك فلا بأس أن تأكل بغير إذنه»[٢].

ولا ريب أن جواز الأكل أو الأخذ من مال الصديق مشروط بعلم الآخذ، أن ذلك لا يشق على صديقه ولا يكرهه[٣].

وقد سبق في حقوق القلب أنه ينبغي للصديق أن يذلل نفسه لتكون منشرحة فرحة بأخذ صديقه منه.

ذكر عن الحسن ـ رضي الله عنه ـ أنه دخل داره

---

(١) النور: ٦١.
(٢) تفسير ابن كثير (٣/٣٠٥).
(٣) انظر: تفسير ابن كثير (٣/٣٠٥).

فوجد بعض أصدقائه قد أدخلهم ابنه أو خادمه، وقد استلوا سلة من تحت السرير فيها خبيص وهم يأكلون منه، فتهللت أسارير وجهه سروراً وضحك وقال: «هكذا وجدناهم، هكذا وجدناهم»، يريد كبراء الصحابة[1].

وحينما آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة إلى المدينة، كان الجانب المالي أبرز الجوانب التي تجلى فيها الوفاء بحق الأخوة الخاصة، التي اعتبرناها صداقة؛ وذلك بحكم الوضع المادي الذي كان فيه المهاجرون التاركون أرضهم وديارهم وأموالهم ابتغاء رضوان الله، وفراراً بدينهم.

فقد آخى رسول الله ﷺ بينهم أخوين أخوين، وذكر ابن هشام في سيرته نماذج كثيرة من ذلك[2]، وبلغ بهم الوفاء بهذا الحق درجات من الإيثار نادرة المثال لمن استطاع منهم، قابلها عفة رائعة من ذوي الحاجة، روى عبدالرحمن بن عوف ـ رضي الله عنه ـ قال: «آخى رسول الله ـ ﷺ ـ بيني وبين سعد بن الربيع، فقال لي سعد: إنّي أكثر الأنصار مالاً فأقاسمك

(١) انظر: تفسير الألوسي ـ روح المعاني (١٨/٢٢٠)،

(٢) سيرة ابن هشام (٢/١٢٤).

مالي شطرين، ولي امرأتان فانظر أيتهما شئت حتى أنزل لك عنها، فإذا حلّت تزوجتها، فقلت: لا حاجة لي بذلك ـ وفي رواية بارك الله لك في أهلك ومالك ـ دلوني على السوق فدلوني على سوق بني قينقاع، فما رحت حتى استفضلت أقطاً وسمناً...»[١]، الحديث.

فكان الأخ ـ كما يقول أبو الحسن الندوي ـ يحكّم أخاه في بيته وأثاثه وأمواله وأرضه وكراعه، ويؤثره على نفسه[٢].

وقد رتب الغزالي ـ رحمه الله ـ الوفاء بحق الصديق في أمر المال، على ثلاث مراتب:

* **أدناها:** أن تنزله منزلة خادمك، فتقوم بحاجته من فضل مالك، دون أن تحوجه إلى سؤالك.

* **والثانية:** أن تنزله منزلة نفسك وترضى بمشاركته إياك في مالك.

* **وأعلاها:** أن تؤثره على نفسك وتقدم حاجته على حاجتك.

---

(١) رواه البخاري ومسلم. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٦٧/٦ ـ ١١/٧).

(٢) السيرة النبوية للندوي، ص: ١٥٥.

والمقصود أن حق الصديق في مال صديقه فوق الحقوق المعتادة للمحتاجين من إخوانه المسلمين، بأن يشعر بالأمان أمام ضائقة مالية تواجهه بتعويله على ما عند صديقه، كما يشعر بالأمان بتعويله على رصيد يذخره.

وقد ذكرنا صورة الإيثار عند صحابة رسول الله ﷺ وأنبّه هنا إلى أن المؤاخاة التي تمّت في المدينة بعد الهجرة بلغت إلى حد التوارث بين الأخوين، حيث يتقدم الأخ في وراثة أخيه على ذوي رحمه، قال ابن عباس: «كان المهاجري يرث الأنصاري، دون قراباته، وذوي رحمه»[١].

وقد استمر ذلك فترة حتى نزل قوله سبحانه: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢].

حيث نسخت الإرث بالحلف، وبالإخاء، اللذين كانوا يتوارثون بهما أولاً[٣].

وعليه: فلا توارث بين الأصدقاء، كما يحرم

---

(١) تفسير ابن كثير (٤٩١/١).
(٢) الأنفال: ٧٥.
(٣) تفسير ابن كثير (٣٣١/٢).

التحايل من الأصدقاء على إيثار أصدقائهم بأموالهم بعد الوفاة، كأن يوصي لصديقه بأكثر من ثلث ماله بعد وفاته، أو يعطيه تملكاً صورياً لأمواله ينفذ بعد وفاته تحيلاً لإيثار الصديق بتركته بعد موته.

وفي ختام هذه المسألة أؤكد على أن الحقوق القائمة بين الصديقين لا يجوز أن تخرج عن الشرع، فلا يطلب أحدهما من صديقه ممنوعاً في الشرع، أو يعتب عليه لعدم الوفاء له به، فضلاً عن أن يشترطاه في صداقتهما كما كان يفعل بعض الجاهلين، حيث يصادق صديقه في الحق والباطل (وينصره على كل من يعاديه؛ سواء كان الحق معه أو كان مع خصمه، فهذه شروط تحلل الحرام وتحرم الحلال، وهي شروط ليست في كتاب الله)[١].

وقد ذكر ابن تيمية عن أناس من متصوفة وقته يعقدون صداقة أو مؤاخاة بين بعضهم، يشترطون فيها شروطاً لا يوفى بها؛ بل يشترطون (المشاركة في الحسنات وأينا خلص يوم القيامة خلَّص صاحبه، ونحو ذلك ـ وقد بيّن ابن تيمية أن هذه شروط باطلة، فإن الأمر يومئذ لله ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾[٢].

---

(١) مجموع الفتاوى (٨٩/١١).

(٢) الانفطار: ١٩.

وكما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾﴾[1])[2].

والله أعلم.

❋ ❋ ❋

(١) الأنعام: ٩٤.

(٢) مجموع الفتاوى (١٠١/١١).

نموذج صداقة إسلامية رائعة الصِّديق الصَّديق

وثاني اثنين في الغار المنيف وقد
طاف العدو به إذ صعد الجبلا
وكان حِبّ رسول الله قد علموا
من البرية لم يعدل به رجلا[1]

نشأت الصداقة بين الرسول ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه قبل البعثة، ولمَّا بعث رسول الله ﷺ كان أول من

---

(١) من شعر حسان بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ في مدح أبي بكر مطلعه:

إذ تذكرت شجوا من أخي ثقة
فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

شرح ديوان حسان ـ لمحمد عزت نصر الله، ص: ١٧٧.

استجاب له من رجال قومه أعرف الناس به هو صديقه أبو بكر الصديق، الذي بادر دون تلعثم باتباع صديقه، جاء في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **ما عرضت الإسلام على أحد إلا كانت له كبوة، إلا أبو بكر، فإنه لم يتلعثم في قوله»**[1].

وفي الإسلام تمكنت الصداقة بينهما، فقد أكدت الشريعة الإلهية التي جاء بها رسول الله ﷺ تلك الأسس الفطرية التي كانت تقوم عليها صداقتهما، ووثقت الوشائج الإنسانية الأصيلة التي كانا يرتبطان بها.

نعم.

إن الإسلام حينما جاء حدد للصداقة منهجية جديدة مرتبطة بالتشريع المتكامل لحركة الإنسان في حياته ولعلاقاته المتنوعة.

أمَّا بالنسبة للرسول ﷺ فقد نال ـ بفضل ربه ـ مقاماً عليّاً لديه وهي الخلة لله ـ عز وجلّ ـ التي لا يمكن أن يشرك بها سواه (لأن الخلة تلزم فضل مراعاة للخليل وقيام بحقه، واشتغال القلب بأمره، فأخبر ﷺ أنه ليس عنده فضل مع خلة الحق للخلق، لاشتغال قلبه

(١) جامع الأصول لابن الأثير (٨/٥٨٥).

بمحبة الله ـ سبحانه ـ، فلا يحتمل ميلاً إلى غيره)[١].

ولهذا قال ﷺ: «**لو كنت متخذاً خليلاً من الناس لاتخذت أبا بكر خليلاً، ألا وإن صاحبكم خليل الرحمن**»[٢].

فماذا بقي لأبي بكر من الصداقة القديمة؟

هنا نعود إلى علاقة الصداقة بالخلة، فإن كانت الخلة هي الصداقة كما فسرها بها أبو العلي المباركفوري حيث قال: «الخُلة بالضم الصداقة، والخليل الصديق»[٣].

فإن صداقة الرسول ﷺ لأبي بكر لم تبق على حالها؛ بل تحولت العلاقة بينهما إلى ما دونها من حب في الله وأخوة إيمانية، وإن كانت الخلة مرتبة أعلى من الصداقة، كما أسلفنا في التعريف وهو ما يراه ابن حجر العسقلاني في الفتح، حيث قال: «اختلف في المودة والخلة والمحبة والصداقة، هل هي مترادفة، قال أهل اللغة: الخلة أرفع رتبة وهو الذي تُشْعِر به الأحاديث»[٤].

---

(١) المصدر السابق (٨/٥٨٦).

(٢) رواه الشيخان وغيرهما. انظر: جامع الأصول (٨/٥٨٥).

(٣) تحفة الأحوذي (١٠/١٣٨).

(٤) انظر: فتح الباري (٧/٢٣).

فإن الصداقة المرتبة التالية للخلة باقية لأبي بكر؛ لأن الحديث نفى ما هو أرفع منها ولم ينفها؛ بل إن قوله ﷺ: «**ولو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر**»، يفيد (أن أبا بكر أهل لذلك لولا المانع، فإن خلة الرحمن لا تسع مخالة شيء غيره أصلاً)[١].

وقال ابن حجر: «في الحديث فضيلة ظاهرة لأبي بكر الصديق، وأنه كان متأهلاً لأن يتخذه النبي ﷺ خليلاً لولا المانع»[٢].

وهو حصر خلته بربه دون بني آدم.

وعلي أي من الوجهين السابقين: فإن علاقة الرسول ﷺ بأبي بكر أرفع من علاقته بالآخرين سواه من الصحابة.

فقد قال ﷺ بعد نفي الخلة: «**ولكن أخوة الإسلام ومودته**» أي: باقية، وورد في رواية: «**ولكن أخوة الإيمان أفضل**» وفسرها بعضهم: بأن مودة الرسول ﷺ وأخوته لأبي بكر أفضل من مودته مع غيره[٣].

---

(١) تحفة الأحوذي (١٠/١٣٩).

(٢) فتح الباري (٧/١٥).

(٣) انظر: فتح الباري (٧/١٣).

وثبت عنه ﷺ أن أحب الرجال إليه أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ وكان ذلك مشتهراً بين الصحابة رضي الله عنهم[١]. وكان يذكر دائماً فضل أبي بكر خاصة ما يتعلق به ﷺ شخصياً كقوله ﷺ: **«إن أعظم الناس علينا مناً أبو بكر، زوجني ابنته، وواساني بماله، وحملني إلى دار الهجرة»**[٢].

وحينما اشتكى أبو بكر إلى الرسول ﷺ عدم مسامحة عمر بن الخطاب له كلمة قالها، غضب ﷺ حتى جعل وجهه يتمعر وقال: **«هل أنتم تاركوا لي صاحبي»**، مرتين[٣].

وروى الترمذي في صحيحه: أنه ﷺ قال لأبي بكر: **«أنت صاحبي على الحوض وصاحبي في الغار»**[٤].

---

(١) قال عمر بن الخطاب في حديث صحيح: «أبو بكر سيدنا وخيرنا وأحبنا إلى رسول الله ﷺ». انظر: تحفة الأحوذي (١٠/١٤٠)، وانظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/١٧٦).

(٢) عن أنس ـ أورده ابن حجر في الفتح وسكت عنه، وقد وردت روايات أخرى في هذا المعنى. انظر: الفتح (٧/١٣).

(٣) أخرجه: البخاري وغيره. انظر: جامع الأصول (٨/٥٩٢).

(٤) انظر: تحفة الأحوذي (١٠/١٥٤) وقال فيها: يعني أنت صاحبي في الدنيا والآخرة.

أمّا صداقة أبي بكر للرسول ﷺ فقد زادت بالإسلام رسوخاً وتمكناً؛ بل فاقت حدود أي صداقة مثالية بين شخصين، ذلك أن صلة أبي بكر بالرسول ﷺ لم تقف عند حد الاستعانة بجهده البشري ـ كسائر الصداقات ـ بل تعدت إلى استمداد الهدى الإلهي بالإيمان بنبوّته ورسالته.

وهذا ما ينبغي أن يعيه من نظر في هذه المسألة، فأبو بكر صديق مخلص للرسول ﷺ، ولكن قبل هذه الصداقة هناك إيمان بهذا الرسول ورسالته، تتبعه الصداقة وتقوم عليه.

لقد سبق أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ الناس بصحبة رسول الله ﷺ ولكن قيمة هذه الصحبة تعود إلى شيء وقر في نفس أبي بكر به فاق من عداه، ومنه كان سبقه في مجالات عديدة، لا في الصحبة وحدها، وحسبه أنه في مجال الإيمان، أساس القرب من الله، والفوز برضوانه، بلغ قدراً لو وزن به إيمان الأمّة المحمدية، لرجح إيمان أبي بكر بها[1].

---

(١) حديث: «**لو وزن إيمان أبي بكر...**» رواه ابن عدي في الكامل عن أبي عمر مرفوعاً، ورواه إسحاق بن راهوية والبيهقي في الشعب بسند صحيح عن عمر موقوفاً. انظر: فيض الرحمن على المطالب الحسان ـ عبدالملك الفتني، ص: ٢٤.

وبعد تقرير ما سبق، نذكر طبيعة هذه الصداقة ـ صداقة أبي بكر للرسول ﷺ ـ حيث يتجلى فيها الوفاء التام بمتطلبات الصداقة:

- فالحب بينهما كان أعلى صورة للحب بين بشرين، فقد كان أبو بكر أحب الناس إلى الرسول ﷺ كما سلف.

أمّا حبه للرسول ﷺ فذاك الذي سبق به الأمّة كلها، واستحق به المقام العلي عند الله وعند رسوله.

- وكان فَهْمُ أبي بكر للرسول ﷺ في درجة أثبتت الوقائع تفرده بها، كما ورد في البخاري ومسلم وغيرهما: أن رسول الله ﷺ جلس على المنبر يوماً، فقال: «**إن الله ـ عز وجلّ ـ خيّر عبداً من عباده بين أن يؤتيه من زهرة الدنيا ما شاء، وبين ما عنده، فاختار ما عنده**»، فبكى أبو بكر وقال: «فديناك يا رسول الله بآبائنا وأمهاتنا».

قال الراوي: فعجبنا؛ فقال الناس: «انظروا إلى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيّره الله بين الدنيا وما عنده وهو يقول: فديناك بآبائنا وأمهاتنا».

قال الراوي: «فكان النبي ﷺ هو المخيّر، وكان

أبو بكر أعلمنا به»[١].

أمّا ثقة أبي بكر بالرسول ﷺ فحسبك فيها أن مستندها ـ كما صرح أبو بكر رضي الله عنه نفسه ـ هو إيمانه برسالته واتصاله بالله، وذلك في رده على الكفار الذين أرادوا هز ثقة أبي بكر في صاحبه في حادثة الإسراء.

أمّا ثقة الرسول ﷺ بأبي بكر: فقد وردت النصوص الكثيرة التي تبيّن عظيم قيمتها، كقوله ﷺ: **«أرحم أمّتي بأمّتي أبو بكر»**[٢] وقوله ﷺ حينما تعجب الناس من قصة البقرة التي حدثت صاحبها حينما ركبها وضربها: **«لكني وأبو بكر وعمر نؤمن بذلك»**. ولم يكونا في ذلك المجلس[٣].

أمّا الألفة: فتتجلى في اللقاءات المتكررة بينهما، حتى كانت لقاءات يومية، تقول عائشة ـ رضي الله

---

(١) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. انظر: جامع الأصول لابن الأثير (٥٨٦/٨).

(٢) عن أنس أورده ابن سعد في: الطبقات الكبرى (١٧٦/٣)، وورد في مسند أحمد مصححاً: **«أرحم أمتي أبو بكر»**.
انظر: ترتيب المسند (١٨٨/٢٢).

(٣) رواه البخاري ومسلم وغيرهما. انظر: جامع الأصول (٦٢٦/٨).

عنها ـ: «ما عقلت أبوي قط إلا وهما يدينان الدين، وما مرّ علينا يوم قط إلا رسول الله يأتينا فيه بكرة وعشية»[١].

ولقد كان للرسول ﷺ هيبة لدى أصحابه، ولكن الألفة بينه وبين أبي بكر ـ ومثله عمر ـ جعلتهما يحظيان بما لم يحظ به سواهما، روى أحمد في المسند عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: «كان النبي ﷺ يخرج إلى المسجد فيه المهاجرون والأنصار، وما منهم من أحد يرفع رأسه من حبوته إلا أبو بكر وعمر فيبتسم إليهما ويبتسمان إليه». قال في الفتح الرباني: «أي لأن ذلك من عادة المحبة وخاصتها إذا نظر أحدهم إلى الآخر يحصل منهما التبسم بلا اختيار»، كذا في اللمعات، وقال في المرقاة: «التبسم مجاز عن كمال الانبساط فيما بينهم»[٢].

ولقد كان ـ رضي الله عنه ـ أكثر أصحاب رسولنا ﷺ انطباعاً بأخلاقه وشبهاً بسمته، ورد عن علي ـ رضي الله عنه ـ في أبي بكر: «كان أقربهم ـ أي:

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٢٧٢).

(٢) الفتح الرباني في ترتيب المسند (٢٢/١٨٢).

الصحابة ـ من رسول الله ﷺ وأشبههم به هدياً وخُلُقاً وسمتاً وأوثقهم عنده»[١].

أمّا الإخلاص: فحسب أبي بكر أنه قدم نفسه وماله وأهله لرسول الله ﷺ ورافقه في أخطر مراحل دعوته في الهجرة إلى المدينة، وكان يقي رسول الله ﷺ بنفسه المخاطر، فكان يتصور الكمائن فيتقدم ويذكر المتابعين فيتأخر، ودخل الغار المظلم قبل الرسول ﷺ ليفحصه وقاية لصاحبه مما يمكن أن يكون فيه حتى سد شقاً فيه برجله خشية أن يخرج منه ما يؤذي الرسول ﷺ.

ووظف ماله في خدمة دعوته، وعرّض نفسه لأذى قريش بوقوفه في وجههم؛ حماية لشخص رسول الله ﷺ، ورد عن علي ـ رضي الله عنه ـ قال: «لقد رأيت رسول الله ﷺ وأخذته قريش، فهذا نحاه، وهذا يتلتله، وهم يقولون: أنت الذي جعلت الآلهة إلهاً واحداً فوالله، ما دنا منا أحد إلا أبو بكر يضرب هذا ويتلتل هذا، وهو يقول: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ﴾[٢]»[٣].

---

(١) انظر: مجمع الزوائد (٥/٩).
(٢) غافر: ٢٨.
(٣) انظر: مجمع الزوائد (٥٠/٩).

وثبت مع صاحبه ﷺ في جميع المواقف التي فرّ فيها بعض الناس لهول المواجهة[١].

ولذا قال رسول الله ﷺ: «**ما لأحد عندنا يد إلا وقد كافأناه بها ما خلا أبا بكر فإن له عندنا يداً يكافيه الله بها يوم القيامة، وما نفعني مال أحد قط ما نفعني مال أبي بكر**»[٢].

وروى معاوية ـ رضي الله عنه ـ بإسناد حسن: أنه ﷺ قال: «**أفضل الناس عندي في الصحبة وذات اليد أبو بكر**»[٣].

وقد ظل رضوان الله عليه وفياً لصاحبه بعد وفاته ﷺ محافظاً على عهده، فنصر دينه يوم امتحن المسلمون بالردة بعد وفاته ﷺ، وكان بأمّته رؤوفاً رحيماً، وعلى هديه ثابتاً، مكيناً، وبأصحابه براً حميماً، روى مسلم عن أنس ـ رضي الله عنه ـ قال: قال أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بعد وفاة رسول الله ﷺ لعمر:

---

(١) ورد ذلك كله في السيرة. انظر مثلاً: جامع الأصول (٥٨٤/٨) وما بعدها، والطبقات الكبرى لابن سعد (١٦٩/٣) وما بعدها، والفوائد لابن القيم، ص: ٩٣.

(٢) حديث حسن. أخرجه الترمذي. انظر: تحفة الأحوذي (١٤٦/١٠).

(٣) انظر: مجمع الزوائد (٤٥/٩).

«انطلق بنا إلى أم أيمن نزورها كما كان رسول الله ﷺ يزورها...»[1]. فعلى أبي بكر الصديق رضوان الله تعالى وعلى سائر أصحاب نبينا الكريم ﷺ.

❋ ❋ ❋

(١) صحيح مسلم (١٩٠٦/٤).

خاتمة
في ما وراء الصداقة

دائرة الصداقة دائرة ضيقة مهما كثر الأصدقاء، لا يمكن بأي حال أن يكتفي الصديق بدائرة أصدقائه وعصبته[١] عن سواهم، ومن هنا كان تجاوز الإنسان

(١) إطلاق العصبة على مجموعة الأصدقاء صحيح عربياً، لأن مادة (عصب) تفيد ذلك، فهي تدل على التجمع والترابط والتناصر والولاء.
ويمكن إطلاق لفظة (ثلة) أو زمرة ونحوها... أما بعض الألفاظ المتداولة كالشلة والبشكة، فدلالاتها العربية لا تطابق مفاهيمها الشائعة، بل قد تكون على عكس ذلك، إذ من معاني مادة (شلة) التفرق والتباعد.
ومن معاني مادة (بشكة) الكذب والانقطاع وسوء العمل.
ومع هذا فيمكن ـ من وجه متكلف ـ أن يلحظ في الشلة والبشكة معنى الانقطاع والتباعد عن الآخرين سواهم. بل قد يلحظ في البشكة معنى سوء العمل بحكم أن الغالب في البشكة أنها زمرة شريرين، أو مجموعة تافهين.

هذه الدائرة إلى ساحة المجتمع حتماً لازماً؛ حيث تقوم بذلك حياته.

ومن هنا كان لا بد للصداقة وهي نموذج حياة إنسانية مركّزة في وعي صاحبها، وفي انضباط علاقاتها الذاتية؛ لا بد أن تكون المدرسة التربوية التي ينطلق المرء من تجربتها للتعامل مع الآخرين من خارجها فهماً، وحسن ظن، وأدب تعامل، وغير ذلك.

ولكن الأمر في الواقع كثيراً ما يكون بعكس ذلك ـ للأسف ـ وكأن الصديق يستفرغ ذلك الجمال الذي يكتسيه مع أصدقائه في دائرتهم، فلا يبقى لمن هم خارج هذه الدائرة سوى ضد ذلك الجمال.

فهو مع أصدقائه لطيف، مؤثِر، باذل نفسه في سبيلهم، ومع الآخرين من حوله ضد ذلك، إما محطِّماً، أو على الأقل غير مبالٍ.

مع أنه قد يكون فيمن هو خارج دائرة صداقته من هو أولى بمعروفه وإحسانه وحبه من خاصته؛ لامتيازه عليهم بعلم وصلاح ونحوه.

ولعل مثل هذه الصورة تتضح كثيراً في المدن الريفية، فالناس في تلك المدن متعارفون، متقاربون في اختصاصاتهم ذوو ارتباط اجتماعي تراثي، ولكنهم رغم

ذلك يتشكلون في عُصَب منفصلة عن بعضها، متقوقعة على نفسها، حتى تكاد تمثل كل منها طبقة متميزة، أو مدرسة خاصة، ومن ثم فعلاقة الفرد بغير أفراد عصبته علاقة انفصام أو تجاهل أو ازدراء واستهجان.

وليس ذلك محصوراً بالعُصَب الفاسدة، التي تمثل نشازاً في المجتمع فتتقوقع على ذاتها كنوع من الهروب - وهي تندثر شيئاً فشيئاً بحمد الله - وإنما هو واقع بعض العُصب الطيبة من ذوي المعرفة والصلاح، وهذه - لا شك - مأساة؛ أي والله إنها مأساة؛ أن ترى مجموعة من ذوي الفهم والمعرفة والصلاح، وقد يكونون من ذوي الاهتمامات الدعوية، فهم خيرون بذواتهم، مجتهدون في إصلاح غيرهم، ثم تراهم منافرين لمن هم خارج دائرتهم - أفراداً أو عُصَباً - وقد يستهزؤون بهم ويهوِّنون من شأنهم لدى الآخرين، ولا يعترفون لهم بفضل، وإن كانوا يفوقونهم بدرجات.

والحق أن سلبية المسلم خارج دائرة أصدقائه نقص غير مقبول، لا إسلامياً، ولا نفسياً، ولا اجتماعياً.

غير مقبول إسلامياً: لأن أوامر الله، وأوامر رسوله ﷺ للمؤمن تجاه إخوانه المسلمين بالمبرة والإحسان، والتعاون على البر والتقوى، والحمل على

المحمل الحسن ما أمكن، وحفظ الغيب، والنصح والدعوة بالحكمة، والموالاة بحسب الطاعة، وحب الخير كما يحبه لنفسه، كما أن النهي عن ضد ذلك من محاربة ومشاقة وتنفير عنهم واستهزاء بأحوالهم، وحسد لهم عنى ما آتاهم الله من فضله ومدابرتهم، وإساءة الظن بهم، والتضايق من الجلوس إليهم، والأنفة من التعاون معهم. . .

كل ذلك ـ أوامر ونواهي ـ ليس محصوراً بالفئة التي يصاحبها المرء خاصة، إنه عام بين المسلم وإخوانه المسلمين لما يحملونه من هذا المعنى ـ الإسلام ـ، وعلى مقدار حملهم له أيضاً؛ سواء كانوا من أصدقائه المقربين أو من معارفه، أو من غيرهم.

وغير مقبول نفسياً: لأن الشخص الذي يعيش في مجتمع وهو يعاني عزلة ـ ولو شعورية ـ عن أكثر أفراد مجتمعه يقع فريسة آفات نفسية كثيرة، كالنظرة العدائية للمجتمع، والنزوع إلى البعد عنه، وازدواج الشخصية في التعامل مع الآخرين؛ لأن التعامل ضرورة ما دام يعيش في هذا المجتمع، ووقوعه فريسة للتوهمات التي تصيب الانطوائيين، لأن وضعه نوع من الانطواء وإن كان أوسع من الانطواء على الذات، حيث انطوى على صديقه أو عصبته المحدودة، لكنه انطواء على أي حال

هو: مرض نفسي، له آثار سلبية كثيرة على صاحبه، كما هو مشاهد في الواقع، وكما تفيده الدراسات النفسية.

وغير مقبول اجتماعياً: لأن المجتمع لا ينجح ويبلغ كماله الخُلقي والحضاري، ولا تحقق علاقاته غاياتها صلاحاً وأمناً وتقدماً، إلا حينما تسود بين أفراده روح المحبة والألفة والتعاون والتكامل في مختلف وجوهه المادية والأدبية؛ نتيجة تجاذب ذاتي بين القلوب، لا تنفيذاً جافاً لمتطلب قانون، واستجابة آلية لقسرية سلطان حاكم.

ومن هنا: فالصديق أو الرفقة ـ وهي نعمة من الله سبحانه وتعالى للإنسان إذا كانت صالحة مناسبة ـ ينبغي أن يكون أثرها إيجابياً نافعاً لصاحبها ولمجتمعه.

فتكون ـ كما سلف ـ مدرسته التربوية في أدب التعامل مع غيره، وتحقيق صفاء النفس للآخرين، والمواءمة بين مصالحه الشخصية، ومصالح الآخرين المحيطين به، دون تطفيف أو غمط، بحيث ينطلق من تعامله مع أصدقائه في دائرة عصبته إلى التعامل مع سائر إخوانه المسلمين بذلك الأسلوب.

وليحذر المسلم أن تكون هذه الصداقة سبيلاً إلى

بطر الحق وغمط الناس ومدابرة إخوانه المؤمنين، أو حاجزاً بينه وبينهم، فإن ذلك فوق أنه أمارة خلل في تلك الصداقة التي أنتجت هذه الآفات هو نقص في الدين، وتفريق للأمّة، وعوق للدعوة، ومدخل للشيطان الرجيم، وانحراف عن الصراط المستقيم.

أسأل الله ـ الجليل الكريم ـ أن يرزقنا الإخلاص في الدين، والاستقامة على الحق المبين، وحب عباده المؤمنين، إنه سبحانه هو العليم القدير العلي الحكيم، وصلّى الله وسلّم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فهرس المراجع

١ - **إحياء علوم الدين.**
الإمام أبو حامد الغزالي، ط: دار المعرفة، بيروت.
٢ - **الإخوان.**
عبدالله بن أبي الدنيا. تحقيق: مصطفى عطا، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.
٣ - **الآداب الشرعية والمنح المرعية.**
محمد بن مفلح المقدسي، طبعة عام ١٩٧٧م.
٤ - **أدب الدنيا والدين.**
أبو الحسن الماوردي، تحقيق: مصطفى السقا، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ.
٥ - **أشعار الشعراء الستة الجاهلين.**
الأعلم الشنتمري، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ.
٦ - **بداية الهداية.**
أبو حامد الغزالي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ.
٧ - **بذل المجهود في حل أبي داود.**
خليل أحمد السهارنفوري، ط: دار الكتب العلمية، بيروت.

٨ - **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي.**
محمد المباركفوري، تحقيق: عبدالرحمن عثمان، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ.

٩ - **الجامع لأحكام القرآن.**
محمد الأنصاري القرطبي، الطبعة الثالثة، دار الكتب المصرية.

١٠ - **جامع الأصول.**
المبارك محمد بن الأثير، تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، طبعة ١٣٨٩هـ.

١١ - **أ - الجواب الكافي.**
ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمود فايد، طبعة ١٣٩٨هـ.

١٢ - **حقوق المرأة في الإسلام.**
د. محمد عرفة، الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.

١٣ - **ديوان ابن مشرِّف.**
أحمد بن علي بن مشرف الأحساني، الطبعة الرابعة.

١٤ - **رسائل الشريف الرضي وأبي إسحاق الصابي.**

١٥ - **الروح.**
ابن قيم الجوزية. الطبعة الثالثة، ١٣٨٦هـ.

١٦ - **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني.**
شهاب الدين محمود الألوسي. الطبعة الرابعة، ١٤٠٥هـ.

١٧ - **روضة المحبين ونزهة المشتاقين.**
ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٨ - **سيرة النبي ﷺ لابن هشام.**
عبدالملك بن هشام، تحقيق: محيي الدين عبدالحميد، توزيع: رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء بالرياض.

١٩ - **السيرة النبوية.**
أبو الحسن الندوي، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ.

٢٠ - **شرح ديوان جميل بثينة.**
إبراهيم جزيني، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ.

٢١ - **شرح ديوان حسان بن ثابت.**
محمد عزت نصرالله، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

٢٢ - **شرح ديوان المتنبي.**
عبدالرحمن البرقوقي، بيروت، ١٤٠٠هـ.

٢٣ - **شرح السنة.**
الحسين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ومحمد زهير الشاويش.

٢٤ - **شرح عين العلم وزين الحلم.**
محمد الهروي القاري، طبع: دار المعرفة، بيروت.

٢٥ - **صحيح البخاري.**
محمد بن إسماعيل البخاري، ط: المكتبة الإسلامية، استانبول.

٢٦ - **صحيح مسلم.**
مسلم بن الحجاج. تحقيق: محمد فؤاد عبدالباقي، ط: دار إحياء التراث العربي.

٢٧ ـ **الطبقات الكبرى.**
ابن سعد، دار صادر، بيروت.
٢٨ ـ **العبودية.**
ابن تيمية، الطبعة الثالثة، ١٣٩٢هـ.
٢٩ ـ **عمل المرأة في الميزان.**
محمد علي البار، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ.
٣٠ ـ **فتح الباري بشرح صحيح البخاري.**
أحمد بن حجر العسقلاني، تحقيق: ابن باز، ط: المكتبة السلفية.
٣١ ـ **الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.**
أحمد عبدالرحمن البنا، ط: دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٣٢ ـ **فتح القدير.**
محمد بن علي الشوكاني، الطبعة الثالثة، دار الفكر، بيروت.
٣٣ ـ **فقه اللغة.**
أبو منصور الثعالبي، بدون تاريخ طبع، ولا دار.
٣٤ ـ **الفوائد.**
ابن قيم الجوزية، تحقيق: أحمد راتب عرموش، الطبعة الثالثة، ١٤٠٢هـ.
٣٥ ـ **فيض الرحمن على المطالب الحسان.**
عبدالملك الفتني.

٣٦ ـ **القاموس المحيط.**
محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، بدون تاريخ.
٣٧ ـ **الكشاف عن حقائق التنزيل.**
جارالله الزمخشري، طبع: دار المعرفة، بيروت.
٣٨ ـ **لسان العرب.**
محمد بن منظور المصري، طبعة دار صادر، بيروت.
٣٩ ـ **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد.**
نورالدين علي الهيثمي، طبعة ١٤٠٦هـ.
٤٠ ـ **مجموع فتاوى ابن تيمية.**
جمع: ابن قاسم العاصمي وابنه، تصوير الطبعة الأولى، ١٣٩٨هـ.
٤١ ـ **مختصر تفسير ابن كثير.**
محمد علي الصابوني، الطبعة الثانية، دار القرآن الكريم.
٤٢ ـ **مدارج السالكين.**
ابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد حامد الفقي، الطبعة الثالثة، ١٣٩٣هـ.
٤٣ ـ **مسند الإمام أحمد.**
أحمد بن حنبل. طبعة دار الفكر الثانية.
٤٤ ـ **معجم مقاييس اللغة.**
أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام هارون، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ.
٤٥ ـ **المفردات في غريب القرآن.**
الراغب الأصفهاني، ط: دار المعرفة، بيروت.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
تقديم	٧
تمهيد	١١
معنى الصداقة	١٧
مرادفات للفظة الصداقة:	٢٠
ضرورة الصداقة وأهميتها	٢٧
أهداف الصداقة	٣٩
أسس الصداقة	٤٩
الأساس الأول: الحب	٥١
قيمة الحب عند المسلم وأثر ذلك في صداقته:	٥٤
الأساس الثاني: التعارف والفهم	٧٠
الأساس الثالث: الألفة وعدم الكلفة	٧٦
الصداقة بين الرجل والمرأة الأجنبية:	٨٦
الأساس الرابع: الثقة	٩٩
أهميتها:	٩٩

الموضوع	الصفحة

الأساس الخامس: الإخلاص	١١٠
من الذي تنبغي مصادقته	١١٥
الأولى: العقل:	١١٥
الثانية: الدين:	١١٧
الثالثة: حسن الخلق:	١١٩
حقوق الصداقة	١٢٢
١ ـ الحقوق المتعلقة بالقلب:	١٢٥
٢ ـ الحقوق المتعلقة باللسان نطقاً وسكوتاً:	١٢٦
٣ ـ الحقوق المتعلقة بالعمل:	١٢٨
٤ ـ الحقوق المتعلقة بالمال:	١٣٠
نموذج صداقة إسلامية رائعة الصِّديق الصَّديق	١٣٦
خاتمة في ما وراء الصداقة	١٤٩
فهرس المراجع	١٥٥
فهرس الموضوعات	١٦١